الى القارئ

يلاحظ لنا بعض الاصدقاء من المثقفين ان مجلة « الفكر » تفسح المجال أكثر فأكثر أمام الشباب فتتبنى إنتاجهم قبل ان تنضج تجاربهم وتتبلور أصالتهم وتبرز قيمتهم الادبية وطرافتهم الفنية فتفرض نفسها فرضا ، ويشفقون على المجلة من ان ينزل مستواها دون ما بلغته بعد جهاد دام أربعة عشر عاما ولا يزال متواصلا ٠

وهم بهذا الانتقاد اللطيف يفسحون لنا المجال لنؤكد بعض ما لم نزل نعتمده ونرجع اليه من الاصول والقيم منذ أن أسسنا هذه المجلة ٠

ليست الفكر حكرا على « أعيان » الادباء و « أعلام » الثقافة المرموقين ، فهي تتشرف بنشر إنتاجهم وترجو ان يكون مرجعا ومرشدا ومعينا يتغذى منه الشباب ، ولكنها في الوقت نفسه تسعى الى خلق أجيال جديدة من الكتاب فتتحسس القيمة الادبية في كل محاولة مهما كان صاحبها وتأخذ بيد كل من تتوسم فيه القدرة على الخلق وترعى خطواته الاولى وتحرص على ألا تصدمه أو تشككه في نفسه ، بل تزوده بالقدر الضروري من التشجيع من دون مغالطة أو تواطؤ ، اعتقادا منها ان خدمة الادب لا تنحصر في التعريف بالموجود أو التباهي به بل تتعداه الى الكشف عن المواهب الجديدة ورعايتها وتوجيهها ، شعارها : لا ارستقراطية في الأدب ولا حقوق مكتسبة بل حظوظ متساوية وفرص متكافئة على أساس القيمة الذاتية بوصفها ملكة تنمو وتصقل وتزدهر بالمعاناة والعمل المضني المتواصل ٠

وكذلك لا نفهم الشباب بالرجوع الى السن بل نؤمن بانه حالة نفسانية ومرونة عقلية واستعداد روحاني لتقبل الجديد والتلاؤم مع العصر ، وانه تفتح ويقظة وتجنب للرتابة والاطمئنان الى كثافة الذكريات ، أما عكس الشباب ـ وليس هو الكهولة أو الشيخوخة دائما ـ فهو التحجر والنظر الى الماضي بعد تقديسه وتحنيطه ! فنحن عندما نشجع الشباب إنما نؤكد عزمنا على تمكين الادب والثقافة في هذه البلاد من نسغ جديد متجدد نكون بفضله متبوعين لا تابعين ، منتجين لا طفيليين ، روادا لا مقلدين ! الماضي نستلهمه ونقبس منه لعقل الحاضر والتهيؤ للمستقبل والثقافة لا تحيا ولا تشع اذا اقتصرت على الموميات !

واذا كانت العبرة بالنتائج فنحن نحمد الله على ان ساهمنا في التعريف بعدد كبير من الشعراء والقصاصين وتشجيعهم يوم كانوا « شبابا » مغمورين ! واذا كان البعض لا يستسيغ الا الثمرة الناضجة المعروضة في واجهة الدكاكين فنحن نؤثر الجهاد المتواصل من أجل المساهمة في انتاج الثمار اليانعة وإن كان هذا العمل لا يخلو بالطبع من محاولة وخطأ ٠

وسنظل دائما شبابا رغم تقدم السن ، وفي خدمة الشباب ، لأن إيماننا بالشباب معناه إيماننا بان الغد سيكون خيرا من اليوم كما أن اليوم خير من الأمس !

ـ الفكر ـ

الاسلوب واللغة التجاوز أو كيف نكتب ؟

بقلم : البشير بن سلامة

في هذه الايام الاخيرة ظهر الاهتمام بالادب التونسي من قصة وشعر وذلك بصورة أجلى وأوضح مما كانت عليه في السنوات الاخيرة وخاصة ابتداء من هذا الموسم الثقافي الزاخر بالمفاجآت الحية والاندفاعات المبشرة بوضوح الطريق وصحيح الانطلاق ٠

وأسباب هذه الظاهرة متعددة ليس من السهل الالمام بها لأن لها جذورا سياسية واجتماعية ونفسية وتاريخية وغيرها تتطلب دراسة طويلة النفس ينكب عليها العدد العديد من الباحثين والدارسين ٠

على أن الملاحظ يمكن أن يعزى هذه الحركة الى برنامج « أدبنا في عصره » التلفزى الذى تمكن من بلورتها واظهارها للجمهور وتنمية النقاش حولها ٠ ويمكن له أن ينسب ذلك الى ظهور جيل جديد من الادباء الشبان الذين اقتحموا باب الخلق الادبى بعدة قوية واعية لها من امكانيات التحليق في مجالات الفن ما يجعلها تشرف هذه الفترة البطولية التى نعيشها في تونس ٠ ويمكن أن نؤكد كذلك تأثير حركة النشر واهتمام القراء الخ ٠٠٠

غير أن الذى لاحظته بالخصوص من غمرة هذه الحيوية هو اهتمام آخر بقضية هامة هي صلب الامر في الخلق الادبى وأصله ومحوره أعنى قضية اللغة كتعبير ٠ وليس معناه أن الوعى شمل جل الادباء اذ منهم من لم يزل يتخبط في مشكل المصطلحات والألفاظ فيعتبر أن ثراء العربية رهين العثور على الفاظ جديدة وأسماء جديدة ، في مشكل صحة اللغة من حيث النحو والصرف ، في مشاكل العروض وجوازاته ، في مشاكل التأثر والاقتباس والأصالة والابتكار وغيرها ٠٠٠

بينما المشكل الهام من بين هذه المشاكل كلها بالنسبة للعربية هو **تجديد اللغة وانتفاء التفاوت بين بناء الثقافة المتشبع به الكاتب والفارق فيه وبين بناء اللغة التى يستعملها وبالتالى تجاوز الاسلوب الطاغى على مختلف أنواع الخلق الادبى ٠**

لقد بينت في دراسة سابقة (*) كيف أن الكثيرين من أدبائنا المرموقين

(*) راجع ما كتبته بمجلة «الفكر» تحت عنوان : اللغة العربية والتقدم الفكرى: السنة 14 ـ العدد 4 ـ جانفى 1969 وخاصة الصفحات : 5 و 6 و 7 ٠

المثقفين ثقافة عصرية متينة لم يتمكنوا من تطويع اللغة والسيطرة عليها حتى تكون كتابتهم مطابقة تماما لتفكيرهم ، وممتزجة مع صفاء الرأى موضحة له وأكدت ان انعدام ذلك يؤدى الى انطفاء الفكرة أو الصورة وغموضها وتلاشى التأثير المقصود •

وأريد هنا أن أغوص أكثر فى هذا الموضـوع وأبين أن هذا التفـاوت بين الفكرة واللغة منشؤه فى رأيى طغيان الاسلوب الى حد كبير • وهى ظـاهرة ربما يصعب وجودها فى لغات حية كثيرة ولكنه من اليسير ملاحظتها فى اللغة العربية وبالخصوص فيما يعتبر خلقا أى فى أسمى ما تجود به اللغة •

ذلك أننى عندما أقرأ بتثبت قصة أو قصيدة أو مسرحية لأديب من الأدباء الكبار المعاصرين أقف مبهوتا أمام الظاهرة الآتية :

الأثر الأدبى مطبوع بطابـع الكـاتب مـرتبط بشخصيته الأدبية فى أعنف صورة أى بأسلوبه فى معناه التقليدى ولكنك تستشف من ورائه ظل كاتب آخر قديم أو شاعر فحل من شعراء العصور المتقدمة • فتحتار فى الأمر وتدفع دفعا الى القول بأن الذى يميز الكاتب الكبير أو الشاعر العبقرى ليس الاسلوب فقط بل شيء آخر فوق الاسلوب وفوق الالفاظ وتركيبها هو صهر للغـة من جديد بحيث تكون أمام لغة لا تشبه لغة قديمة فى أسلوبها وتركيبها أى تكون أمام نمط آخر فريد فى بابه •

لهذا فالاسلوب ليس وحده هو الذى يميز الكاتب عن غيـره بل تجـاوزه للأسلوب إذ الاسلوب هو متعلق بلحم الكاتب ودمـه متـرجم عنه معبـر عن فرديته فى أبشع صورها فاذا طغى الاسلوب طغى الأنا وجـر الى الانطـواء والانكماش والابهام وانتفاء الابلاغ • فالواجب يقضى اذن أن يتجاوز الكاتب الاسلوب الى نمط من اللغة جديد فـريد أسميـه **اللغة التجاوز** إذ بها يتخطى الحدود التى كبلته بها اللغة المتوارثة والأنانية المفرطة الى أداة إبـلاغ متفتحة على العصر ، نافذة الى المجتمع ، مؤثرة النحن على الأنا ، كافرة بالظل فى شمس ظهر الكتابة •

لأزيد توضيحا لرأيى أشبه اللغة بالكساء • فأنت اذا أردت أن تصنع لك كساء وتذهب الى الخياط يدلك الى كتاب فيه أنماط كثيرة فتختار نمطا ابتكره من قبل مبتكر له اسمه ومكانته فى هذه الصناعة • ثم يصنـع لك الخيـاط بعد القيس والتهذيب والتطوير كساء اذا لبسته يصير جـزءا منك أو هو أنت • فهذا الذى قام به الخياط هو الذى أسميه الاسلوب أما النمط الذى اخترته فهو اللغة التى إبتكرها غيرك •

فالكاتب المجدد فى لغته هو الذى يتجاوز الاسلوب الى خلق نمط من اللغة يخلده الىأبد الآبدين كالجاحظ والتوحيدى وغيرهما أما الكاتبفحسبفهو الذى يكتفى بالاسلوب ويعجز عن خلق النمط وأما الكويتب فهو ذلك الذى يشترى

كساء قد لبس بعد أو صنع على غيره ثم يدخل عليه بعض التحسينات ويلبسه فرحا مسرورا ٠

فالقضية إذن هى ليست فى ابتكار الاسلوب فحسب لأن ذلك من السهل ايجاده بل فى خلق نمط من اللغة جديد يتطلب فى الحقيقة ادخال ايقاعات وموسيقى لم توجد من قبل أى دفع اللغة على أن تبنى بناء جديدا وهذا هو صلب القضية ٠ وبطبيعة الحال فان هذا العمل لا يقدر عليه إلا القليل من الكتاب ولكنه يجب أن يكون هو الغرض الاسمى للخلاق بعد أن يبتكر الافكار والصور وهو أمر لا يمكن ضبطه ولا حصره بل مرده الى عبقرية الكاتب أو الشاعر ٠

لكن المحاولات فى هذا الشأن مفيدة جدا ٠ لنأخذ مثلا الشعر ٠ فنحن اليوم أمام ثلاثة أنواع من الشعر : العمودى والحر والمنثور وكل شاعر يختار نوعا من هذه الانواع الثلاثة ليؤدى موسيقى تجول فى نفسه ، فمن الشعراء من يكتفى بالعمودى ومنهم من تضيق موسيقاه به فيخرج عنه الى الحر ومنهم من لم يجد فى الحر متسعا ، وأقصد هنا الشعراء القادرين على العمودى أيضا ، فيهجر الاثنين ويلتجىء الى نوع لم يتمكن من ايجاد قالب يفرغ فيه شحنته الموسيقية ويخرج بواسطته بلغة شعرية جديدة كاملة الموسيقى ٠

ولقد فكرت فى الموضوع ورأيت أن الادباء يطربون للشعر الشعبى كطربهم للشعر الفصيح ، وان كان الشعر الشعبى فى أغلب الاحيان أفصح من الكثير من الفصيح ورأيتهم ينظرون الى النوعين كل على حدة اعتقادا منهم أن الشعر الشعبى له أوزانه وعبقريته الخاصة به والفصيح له بحوره وهياكله المتميز بها ولم أرهم يحاولون ، على الأقل الشعراء منهم ، دفع الشعر الفصيح الى أن يستمد من أوزان الشعبى كالبورجيلة وغيره ٠ ولعلها تجربة حرية بأن يقوم بها الشعراء العارفين بالاوزان الشعبية لان هذا النوع من الادب يترجم فى الحقيقة عن أصالتنا ويعبر فى هياكله عن هيكل الحياة فينا ٠ ألم يكن الزجل توطئة الى ظهور الموشحات ؟ من يدرى ؟

ولقد عرضت هذا الاقتراح على الشاعر عبد المجيد بنجدو وأبدى استعداده للقيام بالتجربة وجربها فى أبيات قليلة فأعطت للشعر العربى الفصيح موسيقى جديدة لم أعرفها فيه من قبل ٠ بقى على هذا الشاعر أن يطوع العربية الى هذا الهيكل الجديد ولعل فى ذلك بادرة طيبة ينضم اليها كثير من الشعراء وتعين على استنباط الصور الجديدة واشراقها ٠

هذه ملاحظات أولية بسطتها على القارىء الكريم فى ايجاز وأنا متردد بين الاصداع بها وبين كتمانها ٠ فلعلها تصمد أمام التجربة ويأتى ما يؤيدها ولعلها مجرد وهم وعند ذلك فليعذرنى القارىء الكريم ويتجاوز عن أخطائى ٠

مع الشيخين المصلحين :
راجح ابراهيم وسالم بن حميدة

في جدلية بين القديم والجديد

بقلم : أحمد خالد

مصادر البحث ومشاكله :

لما طلب مني اخواني منظمو هذه الندوة (1) منذ ايام قليلة ، أن أساهم فيها بدراسة للتعريف بالشيخين المصلحين **راجح ابراهيم وسالم بن حميدة** ، لم استسهل الموضوع لعلمي أن الشمول فيه عسير على الدارس المعاصر إذ أن آثار الراحلين الكبيرين ظلت مخطوطة مغمورة أو منثورة مبعثرة في الصحف والمجلات التونسية ، وفي مقدمات بعض الكتب والدواوين وفصول دراسات سريعة عن الادب التونسي في مطلع هذا القرن ، وتلك هي علة جهل التونسيين وبخاصة الجيل الذي لم يواكب الحركة القومية في بلادنا حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية لآثار ذينك المصلحين ولآثار أعلام تونسيين آخرين في الادب والسياسة والاصلاح الاجتماعي والديني .

وليس ضياع الآثار أو بقاؤها مبعثرة في مراجع يصعب الوصول اليها لعدم تنظيمها والتصرف فيها للفائدة الجماعية أمرا خاصا بآثار هذين العلمين بل هو مصيبة أدبنا وتراثنا التونسي الفكري في العصر الحديث منذ مطلع ما اصطلح على تسميته عصر اليقظة أو النهضة وبخاصة في الثلث الاول لهذا القرن كما بينت ذلك في العديد من المناسبات وبخاصة في بحثي المطول عن **الطاهر الحداد والبيئة التونسية في عصره** .

هذا سبب أول لاستصعابي الخوض في حديث مركز عن الشيخين المصلحين ، أما السبب الثاني فهو معرفتي العرضية لهذين العلمين لأني لم أنكب على دراستهما دراسة خاصة بل لفت نظري أهمية الدور الاصلاحي الذي لعباه في تونس بالمحاضرة والمقالة والقريض والعمل الحزبي الوطني وتيقنت

(1) نص دراسة ألقيت في مهرجان أكودة خلال شهر أوت من سنة 1968 .

من أهمية ذلك الدور أثناء انكبابي على دراسة شخصيات أخرى كان لها اتصال بهما **كالطاهر الحداد** ، **وسعيد أبي بكر** ، ورجوعي الى وثائق ومجلات وجرائد تونسية عربية **كالحاضرة والتقدم والتونسي والامة والمشير ومرشد الامة والنديم والنهضة والوزير والرشدية والزهرة والزمان والصواب وصدى الساحل والسعادة العظمى ومجلة خير الدين والعرب والعالم الادبي والبدر** وغيرها كثير فضلا عن جرائد ومجلات تونسية اخرى باللسان الفرنسي يطول ذكرها قد تراكم عليها غبار الايام ونسيها من عاصرها ولم يسمع بها جل أقراني والمنتسبين الى الثلث الثاني من القرن العشرين بله جيل ما بعد الثورة التحررية الحاسمة بقيادة المصلح الفذ زعيم الامة الاكبر **الحبيب بورقيبة** سنة 1952 .

قلق جيل :

وقد حضرت في هذه الامسية لا لأقوم بعرض مفصل لمقومات تفكير الشيخين المصلحين **راجح ابراهيم وسالم بن حميدة** بل لأبدي فحسب بعض الخواطر عن أدبهما الاصلاحي ولأستمع على الاخص لكلمات اصدقائهما وتلاميذهما لمزيد فهم الدوافع التى حركت فيهما رغبة اصلاح الفاسد وتغيير الاوضاع المتعفنة في مجتمع جل عناصره راكدة لم يكن يجتاحه الوعي الجماعي في ظروف قاسية من تاريخ تونس ، وذلك باحياء الضمائر وإنعاش النفوس وإيقاظ الهمم إذ كانا يتمزقان تمزقا أليما ـ على غرار التونسيين الأيقاظ عصرئذ ـ لهول الهوة الفاصلة بينهم وبين وطنهم ، ويعبران عن قلقهما الوجودي بنفثاتهما الحارة وعباراتهما الحادة التى جرهما اليها الألم والقلق من أحوال عصرهما ووضع وطنهما المغتصب الفاقد أسباب القوة الفكرية والمادية كما جرهما اليها صدمة ادراكهما جمود الشعب التونسي وضعفه ورقي المستعمر وقوته والهوة الفاصلة بين المشارقة والغربيين بعامة .

إن قلقهما قلق جيل أو جيلين من أدباء ومفكرين يقظين وجدوا أنفسهم أمام فراغ مهول فلم ينطووا على انفسهم لأنهم قلقون بالمعنى الوجودي العميق بل ثاروا وتحركوا وفكروا في وسائل انقاذ شعبهم من ذل التبعية وتوفير الكفاية لأمة ركدت طوال قرون الظلام فوهن منها العظم بعد الغضارة واعتراها اليبس الفكري وفاتتها السيطرة على الطبيعة والمادة والآلة ثم داهمها الاستعمار فغلبها على أمرها .

أصول النهضة التونسية :

وإن الدارس ليجد في مقدمة ديوان **سعيد أبي بكر** التى كتبها أبوه الروحي

الشيخ راجح ابراهيم تعمقا فى تحليل تقهقر المسلمين فى عصور الظلام التى طال ليلها حتى نعتها **الشيخ راجح** بأنها العصور النحسة على الاسلام السوداء التى أثمرت للمسلمين الحنظل وكذلك يجد الدارس فى تلك المقدمة عرضا طيبا مستقيما عن أصول النهضة وبوادر الحركة الاصلاحية التونسية التى يعتبر من اساطينها الشيخان **راجح ابراهيم وسالم بن حميدة** ، ومن الانصاف أن يعترف جيل اليوم لهما ولغيرهما من المفكرين والناشطين المصلحين فى تونس بالفضل الكبير فى تطوير العقول وإيقاظ الهمم وأن يدرك أن لتونس مساهمة فعالة فى إصلاح وضع العالم الاسلامى فى أواخر القرن الماضى وفى هذا القرن جدير بالتاريخ أن ينصفهما ·

مصلحان أصيلان :

لقد كانا بحق مصلحين أصيلين شهد لهما بذلك جيلان على الاقل فى تونس ورددت الصحف والمجلات التونسية فى غير ما مناسبة صدى ذلك ·

ولئن كانا يختلفان فى الاتجاه التفكيرى أحيانا فان صلة المنبت الترابى والثقافة الاسلامية المتشابهة والسن المتقارب وحب الخير لتونس تجمع بينهما ، غير أن **الشيخ سالم بن حميدة** كان اكثر حظا من **الشيخ راجح ابراهيم** إذ توفى هذا الاخير فى سنة 1933 عندما كان تخليص تونس من كابوس الاستعمار حلما بعيدا من أحلامه وأحلام جيله الملتاع بينما عاش **الشيخ سالم بن حميدة** الى سنة 1960 وقد تحققت فى أواخر حياته جل أمانيه فتحررت تونس من هيمنة المستعمر ، والمجتمع التونسى من عقيم التقاليد ·

وصدرت فى الثالث عشر من أوت سنة 1956 مجلة الاحوال الشخصية حيث أعلنت حقوق وواجبات المرأة التونسية التى ناصرها **الشيخ سالم بن حميدة** منذ مطلع هذا القرن وقبيل وفاته كان الشعب التونسى قد دخل غمار معركة مصيرية أخرى حاسمة هى معركة الخروج من التخلف لبلوغ الكفاية المادية والفكرية ولمواكبة الامم الحية ·

عرفت **الشيخ سالم بن حميدة** فى صباى وشبابى فى دكانه بين المقاهى **بسوسة** حيث كان يجلس للاشهاد ويؤمه القصاد المعجبون به ، وكنت ألاحظ ذلك من دكان آخر قبالته **لمصطفى الجزيرى** جارنا وصديق والدى ، ولا أتذكر انى جلست اليه إلا مرة واحدة فى ذلك العهد مرفوقا بوالدى فكانت معرفتى له معرفة خارجية سطحية ·

ومع ذلك أتاحت لى الظروف بأن استمع اليه فى بعض محاضراته ومناقشاته

بدار الجمعية تحت اشراف الشبيبة المدرسية ، وكان يجالسه إذاك استاذنا **السيد أحمد بن صالح** ، وسمعته يخطب طويلا فى اجتماع نقابى عظيم قد انعقد فى كازينو **سوسة** ولا اذكر الآن تاريخه بالضبط ، فسبرت حماسه وغيرته على وطنه وتمسكه بأصالة شعبه وعرفت طلاقة لسانه واسترساله فى أفانين الكلام نثرا وشعرا ، وميله الى المعانى العميقة التى لا تستخرج الا بالغوص حتى سمى بحق فيلسوف الساحل ·

ثم اكتشفته من بعد ذلك فى مقالاته وأشعاره التى كان نشرها فى الصحف والمجلات التونسية منذ مطلع هذا القرن إذ كان ينتمى الى جماعة حركة **حزب الشباب التونسى** التى تزعمها **على باش حانبة** مؤسس ومدير جريدة **التونسى** لسان تلك الحركة الوطنية · **والشيخ سالم بن حميدة** – الى جانب **على باش حانبة والشيخ عبد العزيز الثعالبى** وغيرهما مساهمة فى تحرير النشرة العربية من تلك الجريدة وهو فى سن العشرين تقريبا · ومن المعلوم أن مرحلة حركة **حزب الشباب التونسى** تمتد من سنة 1907 الى سنة 1912 إذ صدر العدد الاول من جريدة **التونسى** الاسبوعية يوم 7 فيفرى 1907 والعدد الاخير يوم 7 مارس 1912 أى قبل نفى **على باش حانبة** بأسبوع صباح 13 مارس 1912 بعد مقاطعة التونسيين لشركة الترام الاستعمارية ومعركة **الزلاج** قبل ذلك ·

أما **الشيخ راجح ابراهيم** فقد توفى فى أواخر سنة 1933 قبيل تصدع اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستورى القديم فى مارس 1934 ، وقد نعته الصحف التونسية زمنئذ وفى مقدمتها الارادة التى كان **الشيخ راجح ابراهيم** ينتمى الى جماعتها وتربطه بواحد منهم خاصة صداقة متينة وهو **محى الدين القليبى** كما تبينه مقدمة رسالته **سيف الحق على من لا يرى الحق لعمر البرى المدنى** وقد كتبها حاميه **الشيخ راجح** · ثم أعرفه اذن معرفة عيان إذ لم أكن موجودا فى سنة 1933 ، وانما عرفته من خلال بعض كتاباته المنشورة فى الصحف التونسية **كالنديم والزهرة والارادة** وفى مقدمات كتب ودواوين لاصحابه وتلاميذه كمقدمة **رسالة سيف الحق على من لا يرى الحق** وهى رسالة ألفها **عمر البرى المدنى** للرد على كتاب **امرأتنا فى الشريعة والمجتمع** وكتصدير ديوان **السعيديات لسعيد أبى بكر** ، والفصل الوارد فى كتاب **مجمع الفرائد للجيلانى الفلاح** بعنوان **عبرة من قصص التاريخ الاسلامى لراجح ابراهيم** ·

اتصال الراحلين بتيار اصلاحى تونسى أصيل :

قلت عن قصد إنهما مصلحان أصيلان إذ لا ينفصلان عن تيار إصلاحى **تونسى** أصيل ظهر مع المشير **أحمد باشا** فى أواخر الثلث الاول للقرن الماضى وتدعم

فى عهد **خير الدين** الوزير الاكبر الذى سعى الى تنفيذ منهاجه المضبوط فى كتابه **أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك** واقبل على تنظيمات فى السياسة والادارة والاقتصاد والاجتماع والتعليم ، وبقى اثره راسخا فى آثار وأعمال الرعيل الاول من تلاميذ هذا المصلح وأخص بالذكر منهم **محمد البشير صفر** الذى كان يجله **الشيخ راجح ابراهيم** ويعتز بأستاذيته ويعتبره بطلا غيورا وزعيم النهضة بعد **خير الدين** ، وقد طبع به **الشيخ سالم بن حميدة** وبقى شىء من روح **البشير صفر** راسخا فى نفس **الشيخ راجح ابراهيم** متجليا فى مقالاته التاريخية التعليمية الداعية الى الاعتبار بأحوال القرون الخالية والأمم البائدة والى المحافظة على الدوام الذاتى التاريخى للانسان التونسى المسلم المهدد زمنئذ بالالحاق التام **بفرنسا** ، وبسياسة التجنيس ، **والشيخ راجح** يحارب التذبذب والتلون فى المشرب وهو الذى صير دون شك **سعيدا أبا بكر** ابنه الروحى محاربا جسورا للفناء الذاتى بقريضه ونثره ٠

ولا غرو أن يطبع **البشير صفر** تلميذيه المذكورين بهذا الطابع إذ كانت دروس هذا المربى الطيب الذكر ، بكر المدرسة **الصادقية** ومؤسس **الخلدونية** سنة 1896 **محاضرات فى التاريخ والفلسفة والاعتبار باحوال القرون الخالية والامم البائدة والمقارنة بين الحاضر والماضى** على حد قول **الشيخ راجح ابراهيم** فى كلمته التمهيدية لديوان **السعيديات** ٠

وإذا فكرت مليا فى أصول الحركة الاصلاحية التونسية تبينت انها كانت تستمد روحها من تعاليم العلامة **ابن خلدون** رائد علم الاجتماع البشرى وفلسفة التاريخ ، ولك أدلة قطعية على ذلك فى كتاب **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان لأحمد بن أبى الضياف** ، وفى كتاب **أقوم المسالك لخير الدين التونسى** ٠ ولحركة الاصلاح التونسية صلة بالتنظيمات الاصلاحية فى **الآستانة** قبل ظهور الحركة الاصلاحية السلفية التى تزعمها فى المشرق **جمال الدين الافغانى** ٠ ألا ترى أن التنظيمات كلمة عربية وبمفهومها الاصلاحى الحديث تركية وهى بالاحرى تونسية على لسان **خير الدين** ٠

قلت يقينا أن الشيخين المصلحين **راجح ابراهيم وسالم بن حميدة** لا ينفصلان عن تيار اصلاحى تونسى أصيل ، قائم على أساس الحوار الدائم بين القلب الشرقى وبين العقل الغربى فى غير تمشرق ولا تمغرب ، لان رواد الاصلاح فى تونس كانوا يتحسسون الاصالة بجدلية (une dialectique) فرضها وضع جغرافى **لتونس** فى ملتقى الشرق والغرب ، وماض حضارى متصل بالجهتين بدون تذبذب كما أبان ذلك **الشيخ راجح ابراهيم** فى مقدمة **السعيديات** ذات الاهمية البالغة ٠ وما من شك فى أن البذرة الاصلاحية الاولى

بعد عصور الظلام فى **تونس** ترجع الى ما قبل الحماية بنصف قرن على الاقل ومن الاجحاف إنكار تلك الحقيقة ، ولم يفت **الشيخ راجح ابراهيم** التفطن اليها سنة 1927 فاسمعه يقول :

« تونس المسلمة العربية عضو من الجسد الاسلامى كان لها الحظ الاوفر من سعادته وشقاوته وتقلبت فى جميع هاتيك الادوار وذاقت حلاوة الدهر ومرارته ، بيد أن تونس أخذت تستفز للنهوض وتسير فى طريقه قبل أن تنشر بها دولة الحماية رايتها ـ وهى حقيقة وإنكارها جناية على التاريخ ... »

الحوار بين عقليتين :

اما زارع البذور الاصلاحية الاصيلة التى لم تنبت ولم تثمر فى القرن الماضى وفى مطلع هذا القرن إلا بمقدار محدود ومع الايام ، فهو **خير الدين** الوزير الاكبر ، صاحب الفضل فى التنظيمات الادارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وفى اصلاح التعليم بجامع الزيتونة بعد طويل جمود ، وفى تأسيس **الصادقية** ومكتبتها وتلقيح ثقافة شرقية باخرى غربية نتج عنهما مع الايام فى **الخلدونية والصادقية ونادى قدمائها والجامع الاعظم** حوار بين المدرسيين والزيتونيين أنعش النهضة وخدم العلم والادب وأفاد الوطن وقرب بين عقليتين لم تسلما أحيانا من التصادم لكن بدون كسر ولا قطيعة نهائية .

وقد تحقق الحوار بين معاصرى **خير الدين** سواء من أصحاب الثقافة المزدوجة أو الشرقية فحسب ، ثم تواصل مع تلاميذ **خير الدين** أبكار **المدرسة الصادقية** من الجيل الذى صنعه فتأثر بمبادئه أمثال **البشير صفر** مؤسس **الخلدونية** سنة 1896 حيث تواصل الحوار بين عقلانية غربية وروحانية شرقية **ومحمد الجعايبى** صاحب **الصواب** ومجلة **خير الدين** ، **ومحمد باش حانبة** وشقيقه **على** باعث جمعية **قدماء تلامذة المدرسة الصادقية** فى أواخر سنة 1905 ، وقد كانت تلك الجمعية تهدف الى إشعاع ثقافة حية مزدوجة بها تحقق الحوار المنعش وتيسر التطور ، ثم سرعان ما انقلبت على غرار **جمعية الخلدونية** منتدى سياسيا .

موقف الراحلين من التعليم الزيتونى :

وإن ما غرسه فى نفوس الزيتونيين **على باش حانبة** وجماعته ومن بينهم **الشيخ سالم بن حميدة** قد آتى أكله بعد حين ، فتجلت ثمرة غرسه فى حركة المطالبة باصلاح نظم التعليم **بالجامع الاعظم** بعد أن ظهرت بوادرها يوم 11 مارس 1910 ثم تواصلت الى سنة 1911 فى جو صاخب من المظاهرات

والاجتماعات الاحتجاجية كالاجتماع التاريخى الذى حضره **على باش حانبة** يوم 25 أفريل سنة 1910 بصحن **جامع الزيتونة** وأبان فيه باسهاب فوائد الاجتماعات وتأثيرها فى إنهاض الامم وترقية الشعوب ، ولم تكن الاجتماعات الشعبية التوجيهية مألوفة فى تونس قبل ذلك التاريخ بمثل تلك الصفة إذ استطرد **على باش حانبة** يومئذ الكلام على الحرية فقال : « **إنها لا تعطى عفوا وانما تؤخذ قسرا ، لكن يجب قبل كل شىء استعمال الحكمة والروية فى الحصول عليها** » .

ولا يستبعد أن يكون **الشيخ سالم بن حميدة** ضمن الحاضرين فى ذلك الاجتماع الاحتجاجى العظيم المتلون بالسياسة لانه شارك مشاركة ايجابية طويلة النفس فى الحملة القلمية التى نظمتها جريدتا **التونسى والمشير** فى سنتى 1910 و 1911 لتوعية الزيتونيين وترغيبهم فى المطالبة باصلاح التعليم فى معهدهم الدينى .

ويجد الباحث فى **التونسى** بعددها الصادر يوم 28 نوفمبر 1910 مقالا **للشيخ سالم بن حميدة** بعنوان : **هواجس الصدور فى الجامع المعمور** حيث صور ما ولدته طرق التدريس العقيمة وثرثرة بعض الشيوخ وحياة المقت فى حلقات الدرس وفى مدارس السكنى للافاقيين من شعور بالمرارة والفشل والألم والغيظ الشديد فى نفس الطالب الزيتونى زمنئذ ، وهاك ـ لمزيد تيقن من ذلك ـ عينة من مقاله المذكور : « **زرت بعض اخوانى من الطلبة الزيتونيين فالفيته والأسى قد سطر على صفحات وجهه الكئيب آية من آيات الحزن ... وجدته محتدما غيظا ، يكاد ما به أن يعدمه الرشد ، فتنفلت منه قواه المدركة ... نعم وجدته على النحو الذى أبنته ، ولكن هل علمت ممن يكاد يتميز من الغيظ ، وعلام أحرق قلبه قبل أن يظهر فى أجفانه فيض من الحقد وأى فيض أثاره ضياع الوقت وحقد أنجبته فى نفسه حياة المقت يغتاظ من شيخ مكسال أو مهذار أو مشعوذ فى دروسه ...** »

اصلاح التعليم :

وامتلأت فى تلك الفترة أعمدة الصحف بمقالات داعية الى اصلاح التعليم الزيتونى وخلق حوار بين عقليتين وثقافتين شرقية وغربية ومن أهمها بحث طويل **للشيخ سالم بن حميدة** نشر حلقات متسلسلة بجريدة **المشير** الاسبوعية فى اعدادها (3 ـ 5 ـ 7 ـ 8 ـ 9 ـ 12) سنة 1911 ، وجعل الشيخ المصلح أبوابها متعلقة بالتلميذ والشيخ والكتب والمراقبة والنظارة والادارة والغاية من التعليم والطرق الموصلة اليها ودرجات التعليم وتوزيع

الدرجات بنسبة السنين وتحديد سنى التعليم وتوزيع المواد على الشيوخ بنسبة الاهلية وجداول التعليم السنوية والاختبارات والمنشطات والعلاقات بين التلميذ وشيخه وسن قانون داخلي يجرى العمل بمقتضاه وشذرات أخرى متممة للموضوع ٠

وفى جميع تلك الابواب كشف عن الامراض واقترح وسائل العلاج بصفة عصرية تدهش الباحث اليوم بعد مضى أكثر من نصف قرن على الجهر بهـا ، وهاك عينة دالة على يقظة الشيخ المصلح وعلى ثوريته الصاخبة التى أزعجت الجامدين عصرئذ :

« إنك متى أمعنت فى التنقيب رأيت أن هاته المعلومات رغم تبعثرها وتشويشها قد أكلت منها الوسائط الغايات حتى أصبحت ٠٠٠ لا تصلح إلا للدلالة الصريحة على ما أصاب الاسلام والمسلمين من علل الجمود والخمول والسقوط والثبور ٠

وتجد فى هاته الشقائق والجهل المركب الذى طالما أودى برجال الامة روحا ضئيلة عليلة تئن تحت نير التشويش والاغراض والجمود ٠ والله يشهد أن لولا تلك البقية الباقية من خلال تلك الروح الكريمة لخر سقف الجامع على ما به من فرط ما يقع فيه من الضلالات وأنواع التخرص والهوس والظلمات الداخلية التى تودى بالدين ، تودى بالعقل ، تودى باللغة ، تودى بالآداب ، تودى بالاخلاق ، تودى بالعادات والسنن الكريمة ، تودى بالعلم ، تودى بالفكر ، تودى بالجنس ، تودى بالعائلة ، تزيد الحياة ويلات على ما بها من الويلات » ٠

وتكرار تودى ها هنا مقصود وها هنا جرأة لم يكن يقدر عليها **الشيخ راجح ابراهيم** فى كثير من الاحيان لتمسكه بمذهب إصلاحى سلفى متشدد لا يسمح بمثل ذلك الرفض ٠ فهو ـ على تأثره بالرعيل الاول من المصلحين وعلى رأسهم **البشير صفر** الذى اعتبره **راجح** زعيم النهضة وبطلا غيورا ـ معتز بانتسابه الى **جامع الزيتونة** لا يناقش فى محصول ثقافته ، خلافا لما كان عليه **الشيخ سالم بن حميدة** كما يبينه هذا الوصف الغنائى الوارد فى مقدمة **السعيديات** سنة 1927 :

« دبت الحياة العصرية فى عرصات جامع الزيتونة دام عمرانه بعد جمود طويل وتباعد عن كل جديد فكان هذا المعهد الكريم ـ ذو المجد التالد والتاريخ المجيد ـ ينبوعا من أعذب ينابيع النهضة ودعامة من أمتن دعائمها ، وكان لا يزال لابنائه الفضل الكبير فى خدمة الوطن والعلم والادب والاخلاق » ٠

والحق يقال أن **الشيخ راجح ابراهيم** كتب ذلك الوصف فى سنة 1927 بينما

ذكرت كتابات **للشيخ سالم بن حميدة** متقدمة العهد يرجع تاريخها الى سنتى 1910 و 1911 ·

وكما تغنى **راجح ابراهيم بالزيتونة** فقد ذكر منافع الصادقية وناديها **والخلدونية** ومكتبتها بكامل الموضوعية لانه حريص على مواصلة الحوار بين القديم والجديد وبين عقليتين وثقافتين كما بينت من قبل · ولا أدل على ذلك من أنه الأب الروحى **لسعيد أبى بكر** صاحب ديوان **السعيديات** والاديب الصحافى المناضل ، **وسعيد** مدرسى عصامى لم يتلق دروسا **بجامع الزيتونة** وإنما تتلمذ لشيخ من شيوخه كان يؤمه الشاعر الناشىء فى ناديه **بسوسة** وكان ذلك المنتدى مكتب الوكيل **الشيخ راجح ابراهيم بسوسة** يلتقى فيه الادباء والمثقفون والمشتغلون بالسياسة فى حين كسادها والمهتمون بالاصلاح والصحافيون بالساحل ، ليستعرضوا ألوانا من الادب ويخوضوا فى شتى المواضيع التى كانت تشغل بال التونسيين الأيقاظ فى الثلث الاول لهذا القرن ، ويحيوا ذكريات دينية كميلاد **الرسول الكريم** وهجرته عليه السلام ، كما يشهد بذلك تلاميذه الاحياء أمثال **حسن بن سعيد والهادى بن فرج** وكما فى بعض الاشارات فى الصحافة التونسية وفى قصيد تأبين من نظم تلميذه **التهامى عمار** ، نشر فى جريدة **الارادة** يوم 21 جانفى سنة 1934 بعنوان : **دمعة حراء على فقيد الوطن المنعم الشيخ راجح ابراهيم** ومهما يكن من أمر فان **الشيخ راجح ابراهيم** أقرب الى النزعة الاصلاحية السلفية المتشددة فى الدين منه الى التيار العقلانى المتحرر فى الاصلاح إذ يبدو — الى جانب التأثيرات التونسية الاصيلة فيه — متأثرا كبير تأثر بالحركة الاصلاحية السلفية الناشئة فى المشرق العربى فى نهاية القرن التاسع عشر بريادة **جمال الدين الافغانى** وتلميذه **محمد عبده** الذى زار **تونس** فى مطلع هذا القرن ·

ضجة سنة 1934 وظروف تصدع الحزب الدستورى القديم :

وتلك النزعة الروحية السلفية المتصلبة قد ربطت **الشيخ راجح ابراهيم** بجماعة اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستورى القديم ، الذين تشددوا فى الدين وفى المحافظة على التقاليد ورفضوا فصل السياسة عن الدين لانتهاج طريقة عصرية فى الكفاح ، كما تشهد بذلك مقالاتهم وافتتاحياتهم فى جريدة **الارادة** حيث أنكروا فى ظروف تصدع اللجنة التنفيذية سنة 1934 تمييز المنشقين الدستوريين الجدد فى فلسفتهم النضالية التى أخرجت القضية التونسية من الوحل بعد ارتطامها فيه طويلا ، بين الروحية والزمنية مع احترامهم لمقومات الامة الدينية والاجتماعية واللغوية وحرصهم على تدعيمها كما

يبينه الجدال بين الاشتراكيين (Durel) و (Laffite) وبين الدستورى المناضل **الحبيب بورقيبة** سنة 1929 فى جريدتى **اللواء التونسى** L'etendard Tunisien و**تونس الاشتراكية** (Tunis Socialiste) ولا أدل على خلط القدامى من اللجنة التنفيذية بين الدين والسياسة وبين الروحية والزمنية من ردهم التالى على المنشقين الجدد بزعامة **الحبيب بورقيبة** فى ركن **النجوى** من جريدة **الارادة** يوم 12 فيفرى 1934 :

« ينتقدون علينا مسألة مزج السياسة بالدين ويقولون إن الحزب أصبح بذلك أشبه شيء بالطريقة الصوفية يتلى القرآن فى جلساته وتؤثث قاعة للصلاة فى ناديه ، ويشترط على من أراد الانخراط فيه أن يقسم بالله يمين الاخلاص واضعا يده على المصحف الشريف ، هذه أمور لا يرضونها ولا يريدون أن تكون فى الحزب ... »

فى الخصومة حول الطاهر الحداد :

والقدامى هم الذين لم يغفروا **للطاهر الحداد** آراءه الاصلاحية الجريئة فى ميدان الاحوال الشخصية عندما جهر بها فى كتابه **امرأتنا فى الشريعة والمجتمع** سنة 1930 وبجل تلك الآراء قبل سنة 1928 فى حلقات متسلسلة بجريدة **الصواب** لم تثر ضجة فى المرة الاولى ، • وقد أعادواعليه الكرة فى عديد من المقالات فى ركن **النجوى بالارادة** عندما ظهرت بوادر الخلاف بينهم وبين المنشقين عنهم فى حركة الحزب الدستورى أوائل الاطاحة بجماعة **العمل التونسى** محاولين بذلك تشويه سمعتهم وتضليل الرأى العام التونسى وتأليبه على مخالفيهم .

بين الماضى والحاضر

أنوار جديدة على ظروف تصدع اللجنة التنفيذية :

وإذ لم يمر زمنئذ طويل وقت على الضجة الكبرى التى أثيرت حول **الطاهر الحداد** نصير المرأة التونسية الذى جرؤ مع ثلة من رفاقه فى النضال على الانسحاب من صفوفهم قبيل انضمامهم الى حركة **محمد على** العمالية ذات الاغراض السياسية الوطنية التى تألبت عليها اللجنة التنفيذية مع بقية الاحزاب وذلك لعدم رضا **الحداد** والثلة من رفاقه بطرق العمل فى اللجنة التنفيذية التى انقلبت مجمعا صالونيا يتبارى فيه ارستقراطيون يميزون بين الخاصة والعامة ويرفضون الآفاقيين من مجالسهم الضيقة ويقول أفراد منهم ببعض المبادىء الشيعية المتطرفة فى السياسة كالظاهر والباطن والكتمان

والدعوة الى النفاق كما يبينه ركن **النجوى** من **الارادة** بتاريخ 21 فيفرى 1934 حيث رد الكاتب على المنشقين وبخاصة على **البحرى قيقة** كاشف فضائح **أحمد الصافي** وجماعته فى مقابلتهم مع المقيم العام فان جماعة اللجنة التنفيذية حاولوا إثارة تلك الضجة حول **الحداد** من جديد فى أعمدة **الارادة** فى ركن **النجوى** طيلة أشهر ستة من فيفرى الى جويلية وربطوا اسم **الطاهر الحداد** بالمنشقين لتسميم الجو السياسى عليهم وفصلهم عن الأمة بتهمة المروق عن الدين كما فعلوا بالضبط مرة اخرى فى سنة 1956 عندما نظموا فى جريدة **الاستقلال** بعيد استقلال البلاد وإعلان حقوق المرأة بصفة قانونية فى مجلة الاحوال الشخصية حملة شبيهة بالحملة التى نظمت ضد **الطاهر الحداد** من سنة 1930 الى سنة 1934 فى الصحف التونسية وكانت الحملة فى المرة الثالثة والاخيرة موجهة ضد المشرع التونسى **الحبيب بورقيبة وحزبه** غير أنها باءت بالفشل لان من نظمت ضده وهو **الرئيس الحبيب بورقيبة** قد عرف كيف ينازل الخصم فى الميدان الدينى ، وكان يملك الوسائل الكفيلة بوضعهم عند حدهم عندما صعب الحوار المنعش البناء لان مناهضى اصلاحاته إذذاك أوصدوا باب الاجتهاد فى حدود جوهر الدين ، وقد كشف عن نفاق العديد منهم المتظاهرين بالتقوى والدفاع عن الشريعة تعصبا أعمى وخدمة لأغراض سياسية متمشرقة.

وهذه اللقطة التاريخية مما يسمى التاريخ الصغير (Petite histoire) ذات اهمية بالغة وقد جرني الى هذا الاستطراد تشابه الماضى والحاضر لأن الماضى فى كثير من الاحيان اشبه بالحاضر من الماء بالماء على حد قول **ابن خلدون** ، وإن قال هرقل : « **اننا لا نستحم مرتين فى نهر واحد** » .

موقف الشيخ راجح ابراهيم فى قضية الحداد :

ذلك أن المغفور له **الشيخ راجح ابراهيم** رغم اعتباره أحد أركان الحركة الفكرية الاصلاحية فى الثلث الاول لهذا القرن بتونس ورغم عدم رفضه مبدئيا ترقية المرأة التونسية المسلمة ، ورغم رحابة صدره واعتداله فى احكامه كما فى تعليله لنقمة **المعرى** على بنى الانسان ورجال الدين فى مقدمة **السعيديات** فانه لم يتخلص من صخب الضجة التى أثيرت لأغراض شخصية وسياسية ضد **الحداد** وقد أبنت ذلك فى دراستى **الطاهر الحداد والبيئة التونسية فى عصره** إذ وقف **الشيخ راجح** موقفا خائرا فى تلك القضية باستسهاله التهجم على نصير المرأة التونسية فى جريدة **النديم** يوم غرة نوفمبر سنة 1930 قبل أن يقرأ كتابه **امرأتنا فى الشريعة والمجتمع** .

وتلك معرة دالة على تحامل وانحراف عن منهاج النقد الصحيح والموضوعية العلمية أكون جد ممنون باهتدائى الى عذر يخفف من وطأتها ويغفر لكاتب

معروف بآرائه الاصلاحية النبيلة أما الضجة الثانية التى أثيرت حول نصير المرأة **الطاهر الحداد** والمنشقين عن جماعة اللجنة التنفيذية للحزب الدستورى القديم فى أوائل سنة 1934 فانه لم يعشها ولم يمكنه الاجل من إبداء رأيه فيها إذ توفى – تغمده الله برحمته – فى أواخر سنة 1933 قبل تصدع الحزب الدستورى القديم ٠

موقف سالم بن حميدة فى قضية الحداد :

قد علمت أن من أسوإ ردود مناهضى **الحداد** تهجم **الشيخ راجح ابراهيم** ، وهو من دعاة النهضة على كتاب **امرأتنا فى الشريعة والمجتمع** قبل مطالعته وها أنا أذكر لك اعترافا طريفا **للشيخ سالم بن حميدة** وهو من مواليد بلدة **أكودة** مسقط رأس **الشيخ راجح ابراهيم** ومن مشاهير دعاة النهضة والاصلاح فى الثلث الاول لهذا القرن بانه ناصر **الحداد** وكتابه قبل سابق اطلاع على فحواه اخلاصا لفكرته فى ترقية المرأة ووفاء لصديقه وتلميذه وايمانا باخلاصه لدينه ٠

غير أن **الشيخ سالم بن حميدة** قد شعر بعد انتهاء حفلة تكريم **الحداد** التى ترأسها بنفسه وخطب فيها عندما تقاعس **رشيد بن مصطفى** المعين رئيس الحفلة قبل انتظامها ورافق **الشيخ سالم بن حميدة** يومئذ الى الحفلة احدى بناته لالقاء مخمس شعرى من نظمه بعنوان **الفتاة** مطلعه :

زهرة الاوطان انت الامل فيه نحيا انت نعم الموئل

قلت انه شعر بعد حفلة التكريم بضرورة مطالعة الكتاب ليمكنه ابداء رأيه فيه عن روية ٠ وذلك ما عبر عنه فى رسالة وجهها الى **الطاهر الحداد** ليطلب منه فيها مده بنسخة من كتابه **امرأتنا فى الشريعة والمجتمع** واليك فقرة هامة من تلك الرسالة التاريخية التى تفضل باطلاعى على نصها بخط يد **الشيخ سالم** صهره صديقى **الحبيب عباس :**

« انتم تعلمون انى شاركت فى الاحتفال بكم لما ألفتم كتابكم : امرأتنا فى الشريعة والمجتمع لانك ابنى وصديقى وشريكى فى فكرة تحرير المرأة من ربقة عوائد اتخذت دينا ينازل دين الله تعالى محاولا الظهور بجنده المتنطع الجبان الاعزل ، دون أن أبالى بما اذا كنت أخطأت أم أصبت أم خلطت عملا صالحا وآخر سيئا لاعتقادى بصدق إيمانكم وجزمى باخلاصكم فى إسلامكم ويقينى أنكم ككل عامل مخلص مجتهد له أجره أخطأ أم أصاب وتحقيقى أنكم كتبتم ما كتبتم لينقد قبل أن يعتقد مكرما فيكم شجاعتكم وجرأتكم وطالما أكرم الرجل منازله الرجل فضلا عن صفيه وابنه واخيه ٠٠ »

لقد كان ذلك موقف **الشيخ سالم بن حميدة** المتفتح للحوار المفضى الى الترقي والخير والمناصر للمرأة الذى طبق دعوته الاصلاحية فى بناته واحداهن زميلتى فى الدراسة ٠

تفتح مدهش ومنعش :

غير أنه لم يجهر لاول مرة بتأييد ترقية المرأة التونسية فى سنة 1930 إذ ناصرها منذ مطلع هذا القرن فقد أنشد هذا المربى المصلح الجدير باحتلال مقامه فى برنامج التفكير الاسلامى فى معاهدنا قصيدة أخلاقية فى حفل زفاف صديقه **البشير الفوراتي** سنة 1911 لتهنئته بالعروس وتقديم جملة نصائح له وللجيل الصاعد وابدى فى قصيدته مناهضة تعدد الزوجات والمغالاة فى الصداق والزواج الانتفاعى طمعا فى الثراء وصدع بوجوب احترام حق الاختيار بالنسبة للزوجين وتعليم البنت وتربيتها طبق مكارم الاخلاق وكان حفل زفاف الصحافى **البشير الفوراتي** فذا فى بابه إذذاك إذ انقلب « **سوق أدب تنوعت خطبه وتفاضل خطباؤه وتركت فيه عوائد النقر واللهو** » والتخمة وقد سقت فى كتابى **الطاهر الحداد والبيئة التونسية** نص ذلك القصيد كاملا لاهميته التاريخية لا الادبية إذ تضمن بعض ابيات غير موزونة لم تسلم من الخلل اللغوى واني أحيلكم على تلك المطولة لمزيد تبين مما ذكرت وما كان القصد من تعليم المرأة التونسية المسلمة ومن توفيقها فى نداءات دعاة الاصلاح التونسيين فى الثلث الاول لهذا القرن وفى اواخر القرن الماضى كما وضحت ذلك فى الباب الرابع من كتابى تشريكها فى أعمال الرجال فى المجتمع وتمكينها تدريجيا من اكتساب حقوقها ٠ حتى أن جل نصرائها فى ذلك التاريخ امثال **حسين بالخوجة ومحمد الجعايبي وحسن حسنى عبد الوهاب وسعيد أبى بكر** وغيرهم كثيرا ما تخلصوا بعد من الاعتقاد بأن المرأة للبيت ولم يتخلص من تلك العقيدة واعتبر المرأة للبيت ولتحمل المسؤوليات خارجه أيضا إلا عدد قليل جدا من دعاة الاصلاح التونسيين من اشهرهم فى اوائل هذا القرن **سالم بن حميدة** المربى المصلح الذى طبق افكاره وجهر بها فى رسائله ومقالاته ومحاضراته وأشعاره وهاك فقرة هامة من رسالة كتبها فى تلك الظروف الى صديق له ، فاقرأها تعرب لك عن رأيه فى القصد من تعليم البنت إعرابا لا يترك لنفسك مجالا للشك :

« إن التعليم الواجب إعطاؤه للبنت المسلمة هو التعليم الذى يؤهلها لأن تكون عضوا عاملا فى كل ما يدعو إليه الجهاد الحيوى لعموم بني الانسان بحيث يؤهلها لأن تكون معلمة ومشرعة ناخبة ومنتخبة سياسية داعية للصلح والسلم كأم المؤمنين عائشة زوجة محمد رسول الله المعظم ، ممرضة فى ساحة الحروب والأوبئة تنجد الانسانية المكلودة الموبوءة بجنانها وعطفها عند الضرورة فى غير

من ولا أذى كسائر ازواج ذلك النبيء الكريم وازواج اصحابه وملكة قادرة على تدبير ملكها في سلام كصبيحة في الأندلس أيام الأمويين ... وست الملك في مصر أيام الفاطميين وعالمة أديبة فنانة كالعباسة في دولة العباسيين وزوجة برة كسائر نساء المدنية الاسلامية في عصورها الذهبية ، وأما رؤوما رشيـدة كسائر الأمهات الرشيدات ... »

ألا تريك هذه العينة من رسالة **الشيخ سالم بن حميدة** أن هذا المصلح ظل يبحث في حياته بالغوص الى جوهر دينه وتعمق فهـم حضـارة الاسـلام عن العناصر التي تجانس مقتضيات النهضة الحديثة بدون تشويه لروح العقيدة ولا عبث بالأصالة ، وأنه وفق في مسعاه ـ حسب هذا المقـدار الذي أوردتـه من مذهبه الاصلاحي ها هنا ؛ وهو لعمرى مذهب ممتد الأطراف متشعب النواحي ، جد ثرى ليس هذا العرض السريع مقام الاحاطة به .

خـــاتمـــة :

وإنك لتجد في كتابات هذا الشيخ المربي نفسا جد عصرى وطرافة لا يفقد روعتها مرور الأيام .

ولا يعدم معاصره وأصيل بلدته **الشيخ راجـح ابـراهيم** تلك الأصالة التي نتمسك بها اليوم أيما تمسك . فقد ساعد هذان المصلحان على إحياء الضمائر وإنعاش النفوس وإيقاظ الهمم في فترة كالحة سوداء من تاريخ تونس السياسي والاجتماعي وساهما في مواصلة الحوار بين القديم والجـديد في جـدال منعش خلاق ضروري لضمان التقدم الحضاري وتحقيق الكفاية المادية والفكرية .

ا . خ .

كلمات على هامش الحرية

ـ 1 ـ أناتول مارتشنكو

قال رفيقي مارتشنكو :
أنا كنت شيوعيا
أَبْني مُدُناً فاضلةً موهومَه
أؤمنَ أنّ الحريّة بعدَ الخبزِ الموعودْ
أعلَم أن العالَمَ لي وطنٌ من غير حدود
وأردّد في قلبي الكلمات المهزومَة

أنا كنت شيوعيّا
أقرع في الفجر الاجراس
أكتب أشعاري في شكل عناق للناس
أشربَ من ينبوع الحبّ وأبكي
لكنّي ذات صباح في ساحة فَتْسِسْلاَسْ
أحرقتُ بنارِ الحريّة تاريخي ذاتَ صباح
وَوقفت أغنّي في براغ
ما أعظم قلبك يا شعباً مطعونَ الإحساس
يا شعبًا جبّار الاحساس
آمْنَحْني صمتك ، عانِقْني
قلْ لي كيْفَ جَعَلْتَ مَنَ الصمتِ سلاح
علمني كيف القهرُ يُداس
كيف تكون الحريّةُ قبلَ الخبز
يا شعبًا مرفوعَ الرأس .

ـ 2 ـ بيافرا

فتَحَتْ رُوما مَسْرَحَهَا لجواري القيصَرْ

وعشيقات الأُمَرَاء
فتحتْ مسرحها لحُواة الشعراء ،
فاليوم يقدّم مسرح روما للقيصر
مشهده المحبوب . . ويسقي هذا المرمر
بِدَمِ الْمَهْزُومِينَ مِنَ الْبُؤَسَاء .

آقتُلْ أَوْ مُتْ
آقتُلْ أَوْ مُتْ تَحْتَ الأَقْدَامْ
فَحياتُكَ حين يريدُ القيصرُ رهن الإبهام
إطْعَنْ – كي تضحكَ رُومَا – في الصدْرِ أخاكَ
ليُقال : العبدُ قوى مقدام
وليهتف بآسمك أورقمك كلّ العظماء .
فعبيدُ القيصر أرقام
آقتُلْ أوْ مُتْ
وعلى القيصر وآبنته وكلاب الصيد سلام
وعلى روما ألفُ سلام .

سكَنَتْ رُومَا ، أُوصِدَ باب المسرح ، جاء اللّيل
والقيصر يَشْرَبُ خَمْراً من صدر الحسناء
يسكبه ويروح يلملمه ، تضحك منه الحسناء
روما نامت
وأَرقْتَ تُثَرْثِرُ وحدك في سجن القيصر
وتحسّ بذنبك ترجو لَوْ عَادَ قتيلُك كي يثأرْ
لكنك أرخص من طعنة خنجر
ماذا لو سَدَّدْتَ سِلاحَكَ للأسيادِ الأُمَرَاءِ
ماذا لو مات القيصر
لو رفض العبد القتل ولو جرّب معنى الحريّة
ماذا لو أحرقْتَ المسرح
ماذا لو ذَوَّبْتَ وُجوهَهُمُ الشَمْعِيّه
هم يخشَوْنَ النّارَ فكُنْ نارًا

هم يخشون الريحَ فكن في اعماقك إعْصَارا
وآسأَلْ نَفْسَكَ : مَاذا لو هزموك
وآصْعَدْ وَحْدَكَ نَحْوَ الصلبْ
كن أعظم من ألم الموت وأقوى إصْرَارًا .

لَكِنَّ المَسْرَحَ ما زَالَ ، وَما زَالَ القيصر
والمشهدُ يجري يوميًا والإِبْهَام
ما زال يواصل لعبته
فَتَمَرَّدْ أومُتْ تحت الأقدام .

ا٠ ق٠
فيفري 69

— أناتول مارتشنكو : أديب سوفياتي حكم عليه بثماني سنوات سجنا لانّه كتب رسالة يهنيء فيها الشعب التشيكي بصموده أمام الغزو .

« نعم لقد اخترنا ألا نذوب فى غيرنا وألا نعتنق مذاهب جعلت لبيئة غير البيئة التونسية واستنبطت من معطيات غير معطيات الواقع التونسي ٠ ولو اكتفينا بتقليد الغير وترديد ما تنشره المجلات الأجنبية لوفرنا على أنفسنا الأتعاب ولزالت حيرتنا وأصبنا السعادة٠ لكننا اخترنا تسليط الفكر على واقعنا واعمال النظر فى مشاكلنا القومية والاعتماد على أنفسنا من أجل الظفر بمذهب تونسي صميم يكسب أعمالنا وأقوالنا معنى ٠٠٠ لأنا ـ بالضبط ـ آثرنا العظمة على السعادة » ٠

محمد مزالي
(« الفكر » ـ السنة 2 ـ العدد 4 ـ 1957)

تأخر موعد دفني

قصة بقلم : ابن الـواد

« ما زلت تذكرها .. »

ولم أجب .. بماذا أجيب ؟ ماذا أقول ؟ ! ولزمت الصمت .. وبدأ الاشفاق يغزوني .. الاشفاق ؟ بل الرثاء ! رثاء لحال هذه المرأة التى أرادت أن تقاسمني مرارة أيامي ...

كانت تعلم كل شيء ، تعلم أني انسان تحطم ، انسان لم يعد يحيا ، ولكنها أصرت على العودة بي الى الحياة ، أصرت على التضحية ، على المحاولة ..

« لماذا تزوجت ؟ » وبدأت أحقد على ذاتي .. « كيف تركت نفسي أنساق بسهولة ؟ » كنت محطما ، كنت في مسيس الحاجة الى من يرحم ذلي ، ولم أستعن بأحد . أقنعت نفسي بفكرة الفناء ، وكتبت في مفكرتي « انسان مات ولم يقبر » وبدأت أستسلم وبالتالي أتلاشى .

وظهرت رجاء . كانت كمن برز من عدم . ولازمتني . لم أعرف فيها الزميلة القديمة الصموتة ، تلك التي كانت تنظر الى بحذر ، بخوف وحرمان . لم أعرف فيها تلك الفتاة العاملة التي كانت تتزوج كل سنة كتابا معلومين لتطلقهم اثر الامتحان ... استقبلتها بفتور عندما قدمت نفسها في قاعة الأساتذة ، وانتظرت منها أن تتركني لسويدائي ، ولكنها لم تفعل ، إذ جعلت تتحدث عن المعهد والتلامذة والواقع . وتقهقرت سنوات الى الوراء لتتحدث عن التلمذة والصـراع .. وكنت صامتا أرمقها بعينين ميتتين . وتفطنت الى نظراتها تسرقان أصابعي فأدركت مقصدها وتجاهلت أحاديثها . وفجأة سألتني عن سلوى ، وأحسست بالاسم يلسعني فقمت بتثاقل ، وانصرفت بسرعة ..

وتكررت لقاءاتنا في قاعة الأساتذة ، ولم تعد تسأل عن سلوى ، فبدأت أطمئن اليها : الى أفكارها الرجعية ، الى « الله » تحشو بأسمائه جملها ، الى « المكتوب » تعزى به نفسها .. ونفد زاد الكلام الفارغ فانتقلت الى ذاتها تتحدث عنها بخجل ، بتواضع ، بحقارة ، بحرقة وأسف . وتكررت كلمات : العبث والغرابة والصدف والأحداث على لسانها . وغاصت الى أعماقها عندما

تحدثت عن الحرمان والبرودة والضيـاع • ولم أبـادلها كلمـة • ولم أعلـق فالأموات لا يتكلمون ولا يعقلون • وأنا ميت من زمان !•

وقلقت من نفسها فبدأت مرحلة الأسئلة تلقيها بدقة • وأجيب عنها بغموض وأتجاهلها ، وأرفض الاجابة فى بعض الأحيان • وبعد شهر انتقلنا للمواعيد وأشهد لها بسعة الأفق وغزارة الحيل •

وأخيرا سألت عن سلوى • وتمزقت بين الهذر والصمت ، وغلبنى الضعف فتكلمت • كنت يائسا وكانت آملة • قلت لها إنى تحطمت وإن بـاب المرأة أغلقته الى الأبد • وأعلمتها أن الكون والعدم استويا لدى على صعيد واحد • وأفهمتها أن الانســان لا يحب مـرتين وأن الكلمـات التى يقـولها للمحبوب الاول لا تعاد لثان بنفس الصدق ونفس الحرارة ونفس الحيـاة •• وأصابتهـا العدوى فتكلمت • قالت إنها لا تثق فى الآخرين ، فالآخر عـدو أو لا يكون ، وإنها لا تتحمل رجلا كأيها الناس : يخدعها ويكذب عليهـا ويـدعى الكمـال والمعرفة والعظمة • أعلمتنى أنها لا تطيق معايشة رجل يعتبرها وعاء أو آلـة أو « ناقصة العقل والحظ والايمان » ، « رجل له العلم ولها الجهل ، له الحياة ولها المـوت ، له الرغبة ولها التلبيـة » وأفهمتنى أن التفـريق بين الأصـالة والتزييف صعب جدا فى عالم البراقع والأكاذيب • وكم من رجل أوهم فتاته أنه ملاك طاهر ولما سلبها اسمها وجسمها انقلب الى شيطان ماكر • وكم من متزوجة تقسم بأغلظ الايمان على أن زوجها لم يطأ أخرى ، فى حين أنه زيـر نساء يفعل بتستر • وكم • وكم •

وختمت الخطبة بترديد : « الرجال ذئاب ، ثعالب » •

ولم أعلق : فالأموات لا يعقلون !•

وفى المساء كلمتنى تلفونيـا ، وطلبت منى أن ألقـاها فى مكان خطير على القلوب الحساسة • ودون تردد ذهبت : فالأموات لا يترددون !

أعجبنى فيها الايجاز وعدم اللف والتقديم عندما قالت : إنها مـذ عرفتنى أعجبت بنباهتى ، وثوريتى : « فالشباب ايمان وثـورة » ، وأخـذت بغـرابة أفكارى ، وطرافة اطوارى و « النساء يعشقن الغموض » • وأعلمتنى أنها لا تطلب منى أن أبادلها المحبة ، وأن ما تطمح اليه لا يتعدى « تركها تخدمنى » •

وتركتها تتكلم ، وانشغلت بالتفكير فى التفكير ، ونسيتهـا تماما عندما فاجأتنى بقولها : « ما رأيك » • ورأيت الشوق فى عينيها الدامعتين ، وتعلقت حدقتاها بشفتى • ولم أتكلم : فالأمـوات لا يتكلمـون ! وطـال انتظـارها ، وسقط وجههـا على ذراعهـا وسمعتهـا تبكى • تـرقبتها حتى جفت دمـوعها وانصرفت •

وخطر لى أن أعرج على حانوت خمار ، ونسيت أن الأموات لا يشربون • فطلبت من النادل ذوقه ، فاحتار واستعجب وضحك وتكسر ، وأمر لى بسائل لا أذكر اسمه وشربت لأتذكر سلوى ولأحدق فى واقعى بعينين محمرتين : تأملت السيارة أحرق بوقودها أيامى ، وأحجر على النساء ركوبها ، وفى المنزل الجديد بنيته لوعد احتضر سنوات بين فكى مجتمع لا يرحم ، احتضر بتمرد ، بثورة ، بعظمة ، وقضى ليحيا مأتمه فى قلب تأخر موعد دفنه • وتذكرت سلوى ، تذكرت الهمسات تدغدغ حواسى ، والتنهدات تحرق قلبى ، والابتسامات تنير جوانب نفسى •• تذكرت كل شىء ورأيتها تعيش من جديد ، ونسيت أنها الآن بيعت بالتحيات والجلسات فى المقاهى وحول كوانين الشاى ، نسيت أنها الآن آلة اشتريت لصنع الأطفال ، لتنظيف المنزل ، لطهى الطعام ، لتعطير الفراش وللاستعداد لهزلة الليالى •• وخدعتنى مخيلتى فتصورتها فى المنزل الجديد ، فى الحجرات التى رسمها طموحها فى أيام المسرة والالتهاب • وتذكرتها تنتظرنى بشوق ، بلهفة ، بهيام ، ولم أفهم نفسى فقفزت كالمصاب ، وقذفت للخرقة البيضاء بورقتين فخرت راكعة ، وجعلت أركض ، وأركض • ودفعت الباب بلهفة وجعلت أصيح : « يا سلوى ! » وسمعت الصدى يردد الاسم فى آهة طويلة ، ثقيلة ، موجعة •• وجعلت أركض من حجرة الى أخرى وأنادى • ولما اقتربت من السرير الطويل ، ولما تصورت البرودة الحقيقية ، ولما رأيت الفراغ الغاضب تركت نفسى أنهار على البساط المثلج ، وارتفعت يدى الى شعرى تمزقه ، وجعلت أبكى بعيون الأرامل •

وبعد أيام صادفتنى رجاء فى قاعة الأساتذة ، وقرأت الألم العميق على صفحة وجهها فتنهدت بحرقة ••• وتركت نفسى أنساق كالميت أثناء الغسل ••• وتزوجت ، وكان زفافى مأتما ، وأخذت حياتى طريقا معينة : أنا لا أقرب زوجتى فى النهار ، لا أكلمها بلطف ، لا أهمس فى أذنيها كلمات فارغة ، لا أقبلها • أنا لست رجلا فى النهار •

أما فى الليل فانى أعود متأخرا ، وأطفىء الأنوار لأندس الى جانبها فى الفراش • وعندما يأخذها النوم • وعندما تخدعنى مخيلتى أعانقها • وتبقى هى جامدة فقد حرمت عليها الكلام فى مثل هذه الأوقات ، وحرمت عليها المشاركة ، حرمت عليها كل شىء •• وكنت أعانق سلوى : كنت أتصور سلوى وأضم جسد رجاء • وعودت نفسى على الخديعة ، وأنست للنفاق • ولم تثر رجاء !!!•

وقبل أن يفضح الصبح الأشياء ، أسل نفسى من الفراش بحذر ، وأضع ثيابى بسرعة ، وأرمى بجسمى فى السيارة أحرق بوقودها أيامى وأترقب موعد دفنى •

وعشت سنة كاملة أشعر خلالها أننى زوج مثالى : فأنا لا أخدع زوجتى ، لا أكذب عليها ، لا أنافقها • أنا لا أتصرف معها تحت ضغط دوافع خفية تجهلها • إنها تعلم كل شيء وهذا ما يعزينى • إنها تعلم أن الجسم الذى أضمه بحنان ، وأتحسس تضاريسه بجنون ، وأشمه بلوعه ، وأعصره بقسوة لطيفة ، ليس جسمها وإنما جسم سلوى • ثم إنها تعرف سلوى ، تعرف محبتى لها ، وتعرف وفائى لعهود الصبا وخرافات الشباب ••• إنها تعرف والسلام •

هل تتألم ؟ لم ألاحظ ذلك • هل تشعر بالحرمان ؟ لا أعتقد لأنها لم تطلب منى ولدا يبدد وحشتها •• والنساء لا يطلبن إلا الأولاد ••• أنا لا أعرف : فالأموات لا يعرفون !

لماذا تزوجت ؟ لماذا استسلمت كالحمل ؟ لماذا لم تثر رجاء ؟•• وتذكرت ما قالته لى عندما كانت تحاول التغرير : الوعاء •• الآلة •• الرجل الذئب •• الرجل الثعلب • وتهت فى عالم أفلاطون ولم أضحك من نفسى •

لماذا لم أنسحب كالعادة فى هذا الصباح ؟ واستعدت الأحداث : عدت مع الواحدة بعد منتصف الليل • خلعت ثيابى كلها ، وغرقت فى الفراش الدافىء • تناومت فلم أنم • ووجدت نفسى أفكر فى سلوى ، وغزتنى الصور ، صور من الماضى ، من الحاضر ، من المستقبل المحطم ، صور من لا زمان • وهاجمتنى التساؤلات : أين هى الآن ؟ هل تقاسى من كبشها ما أقاسى من نعجتى ؟ هل تنام عارية معه كما أفعل أنا مع رجاء ؟ وتذكرت القطيع الظالم فسخطت •

وتحركت رجاء فأحسست بنفسى أزور كالمصاب ، وجعلت أنظر اليها بخوف واشفاق ، بكراهية وحقد : إنها تنام باطمئنان ، وأسهر بحرقة • إنها ••• ولم أجد الكلمة • وتجمدت عيناى على عنقها العارى • وأحسست بالرغبة تحفر فى أعصابى ، وشعرت بنفسى أتلوى تحت سياط من لهيب : ماذا لو لمست هذا العنق الشهى ؟ وامتدت يدى تجس اللين • وجعلت أصابعى تتحرك بكسل ، ثم انحدرت الى أسفل ، الى الغطاء تزيحه ، ولأول مرة رأيت رجاء • وحملقت فى وجهها ، فاذا بها تبتسم ، وأحسست بالحقد يعصر قلبى • وعدت أحدق فى الجثة الحية • وبيدين قاسيتين جعلت أعصر الحياة النائمة • وفتحت عينيها فتجمدت وخجلت من نفسى •

وخطر لى أن أقبلها بجنون ، أن أحترق معها فى بركان الوجود ••• ولأول مرة جرؤت على تقبيل رجاء ، وشعرت بها تتفاعل ، تشارك ، فصعقت « سلوى

لا تقبـل هكذا ، لا تضغط على الشفتين ، لا تقاوم ٠٠ سلـوى تغيب معى فى عالمنا البعيد ، عالم الفتور ، عالم المستقبل ، فى رجاء المستحيل » ٠

وجعلت تلوك عبارات فارغة فجن جنونى : « سلوى لا تتكلم فى مثل هذه المواقف ٠٠ سلوى تعبر عن الكلام بالصمت والحركات » ٠ وعرفت أن سلواى ليست من النساء ، إنها نسيج وحدها ٠

وتخلصت من رجاء برفق ، ثم وضعت ثيابى بكسل ، وجلست فوق طاولة وجعلت أفكر وأنظر : أفكر فى سلوى ، فى الأيام التى كنا ننتظرها معا ، فى قبلات الصباح ، فى ابتسامات الفجر ، فى التكاسل ، فى الجنون يدفع بنا الى عدم ترك الفراش ، فى الالتحام الأبدى ٠٠٠ وأنظر الى رجـاء العـارية ، الى التضاريس الغريبة ، الى الضفدعة المخيفة ٠٠٠ وسمعتها تتمتم : « ما زلت تذكرها » ولم أجب ٠ وأحسست بنفسى أتمزق بين الرثاء والندم ٠٠٠ ووددت لو أبكى ، لو أدفن نفسى ، لو أموت مرة أخرى ٠ وبخذل انتصبت واقفا وقلت كأنما أخاطب نفسى : إن سـاعة التنـاسى قد أزفت وإن البنـاء من جـديد استحالة ٠٠٠ وخرجت أبحث عن كفنى ٠

ابن الواد

(طالب)

خواطر حول اصلاح التعليم

بقلـم : رشيـد الغالي

المصطلحات العلمية واللغة العربية :

هذه خواطر شخصية أردت أن أسوقها فى هذا الحديث على سبيل الاشارة ، لعلها تساعد رجال الاصلاح فى التعليم فى أعمالهم .

ان الطالب أو المدرس يشعر بعجز عن استعمال المصطلحات العلمية فى لغة الكتابة أو التخاطب اذا ما أراد أن يستعمل اللغة العربية أداة فى ذلك ـ ففى الشارع يستعمـل اللغـة الفـرنسية فيقـول عن المحـرك والمنبـه والمعطـل moteur,accélerateur,frein ولا يعن له أن يستعمل المصطلحات العربية لانه لا يجد فيمن يتعامل معهم من يفهم أو يستعمل هذه المفردات ، وقد توضح لى هذا جليا عندما باشرت تدريس اللغة العربية فى المدارس الابتدائية أو المعاهد الثانوية. فاذا ما طلبت من تلاميذى أن يكتبوا فى موضوع وصفى فانى اراهم يقتضبون ويجملون كلما دعوا لوصف مخترع من المخترعات الحديثة ويلتجئون فى ذلك الى المسميات المستعملة فى اللغة الدارجة، ولكن نفس المشكل أقع فيه أنا بدورى كناقد ومصلح للمواضيع الموسعة من طرف التلاميذ . وذلك لأمرين أثنين ، أولهما : أن زادى فى المصطلحات العلمية بالعربية قليل وهذا راجع الى مناهج تعلمى ، وثانيهما : أن استعمالى لهذه المصطلحات فى بيئتى نادر جدا ان لم أقل منعـدم ، الأمر الذى جعلنى أنسى بعض هذه المصطلحـات القليلـة وأجـد مشقة فى استذكارها واستعمالها فى شروحى لتلاميذى . وبـت أتساءل عـن أسباب ذلك ؟ فقلت : ان ذلك يعود الى مناهج التعليم القديمة والى بعض غايات المستعمر فى مسخ الذاتية التونسية وادماجها فى الذاتية الفرنسية . ولكـن الأمر اليوم تغير وأصبح يفرض السؤال التالى : هل يمكن للغة العربية تلبيـة مطالب العصر الحديـث فى ميـدان التعبيـر عـن مسميـات الاختـراعـات والاكتشافات ؟

لقد أمكن لها فى الماضى ـ فتفتحت لمختلف الحضارات كالحضارة اليونانية والحضارة الهندية وغيرهما واحتضنتها بصدر رحب ثم زادت فيها بما نتج عن هذا الاحتضان من عمل وبحث فاكتشف علم الجبر والصفر وحللت المعادن وركبت ، وكان للعصر الذهبى فى عهد الدولة العباسية باع كبير فى هذه الميادين العلمية

وأشير على سبيل التذكير الى بعض رجالات العلم : أمثال **ابن سينا والرازى ومحمد بن موسى الخوارزمى وجابر بن حيان** وغيرهم ...

ولكن لماذا كان ذلك الازدهار فى ذلك العصر ولماذا اختنق اليوم ؟ الاسباب كثيرة أذكر منها أن العرب كانوا أكثر تبصرا بشؤون العلم وبقضايا التعبير ، ففتحوا باب ادخال اللفظ الدخيل وعربوا ما يمكن تعريبه ، ولم ينظروا الى هذه القضية نظرة المجمع اللغوى العربى الحالى .

ولعل هذا ما دفع بحكومتنا لاتخاذ اللغة الفرنسية فى تلقين المواد العلمية . لأن هذه اللغة حية واكبت الحضارة ولم تتحجر ، فقد اختيرت ، كما قيل ، لتكون نافذة تفتح على الحضارة العالمية . وهذا حل عاجل وضرورى فى هذه الظروف الحالية ، ولكن الى متى سنبقى نستعمل هذه اللغة ؟ وهل يمكننا القيام بعمل يجعلنا نتخلص تدريجيا من اللغة الفرنسية ونعوضها باللغة الرسمية ، اللغة العربية ؟ هل يمكننا كدولة ، لغتها العربية ودينها الاسلام ، أن نشارك بقسطنا فى انتشال اللغة العربية ؟ أم هى لغة « **مائعة** » كما قال بعضهم ، لغة عواطف وليست بلغة علوم .

حول اصلاح التعليم : مقترحات :

ان لى اقتراحات أردت أن أقدمها لعلها تكون مخططا لاستعمال المصطلحات العلمية العربية فى تلقين العلوم فى مرحلة التعليم الثانوى بقسميها .

1 - ان تدريس الرياضيات والطبيعيات لا يستلزم زادا لغويا عاما كبيرا وانما يكتفى الاستاذ بمعرفة المصطلحات العلمية وبربطها فى جمل وتراكيب سهلة بسيطة ، ثم ان اللغة المستعملة فى شروح النظريات قليلة وتعتمد الارقام والحروف التى ترمز الى المواد .

وقد تمكن بعض الاساتذة الذين تلقوا هذه المواد باللغة الفرنسية من تدريسها باللغة العربية ، وقد استطاع بعضهم ترجمة شىء منها . فالامر اذن يتعلق بهمة هؤلاء الاساتذة وفى مدى قبولهم للجهد ولشىء من المعاناة .

وعلى أساس احصاء دقيق لعدد الاساتذة القابلين لتدريس العلوم باللغة العربية يمكننا أن نتخلص شيئا فشيئا من مشكلة فقرنا للاطار المدرس .

2 - أن يتكون بكتابة الدولة للتربية القومية قسم ، أو ما شابهه ، يعتنى بطبع نشريات شهرية فيها تعريب لمواد العلوم حسب ماضبطته البرامج الرسمية المقررة ، توزع على الاساتذة وتقوم لهم مقام المذكرات .

3 ـ أن تلقن هذه المواد باللغة العربية واللغة الفرنسية مؤقتا حتى نستوفى حاجتنا من الاساتذة الذين يدرسون هذه المواد باللغة العربية ، وأن يتم تدريس هذه المواد باللغة العربية طوال السنوات الست الاولى من التعليم الثانوى ثـم تكون الدراسة فى السنة السابعة باللغة الفرنسية حتى يتمكن الطالب ، فى هذه الظروف الانتقالية ، من مواصلة دراسته العليا ٠

فالطالب اذا ما تحصل على الجزء الاول من شهادة الباكلوريا يكـون قـد تحصل على زاد لغوى فرنسي يمكنه ، بشيء من العناء فى أول الامـر ، مـن مواصلة دراسته العليا باللغة الفرنسية ، وبذلك قد نستثمره لا فى ميـدان البحوث العلمية فحسب بل فى التدريس والتعريب أيضـا ٠

مشكلة التعريب :

لقد طال الجدال فى مشكلة التعريب ، وأظن أن المتجادلين لم يخرجوا من هذيــن النقطتــين ٠

هل نأخذ المصطلح كما سماه صاحبه وننطق به بالأصوات التى جاءت فـى تسميته كأن نقول التلفون Téléphone أم نعرب ذلك بالعودة الى المعطيات التى اعتمدها المخترع فى تسميته للاختراع ونختلق له اسما عربيا فنقـول : الهاتف وطال الجدال فى ذلك ولا أظن أنهم خرجوا بنتيجة حاسمة ، فاصلة ، غير أنى اشير الى أنه يجب أن نعرب ما أمكن تعريبه ، وأن نأخذ بكل نزاهة ، وبدون مركبات ، ماشاع على ألسنة الناس ، وأصبح متداولا فى العالم بأسره ٠

وأظن أنه قد حان الوقت لمعالجة هذه المشكلة التى أطرحها اليوم ، ولا أظن اذا عالجنا الداء من المدرسة الابتدائية ، أننا سنجد فى الاجيال القادمة الكثير ممن لا يحسنون التعبير بدقة عن المخترعات الحديثة باللغة العربية هذا بالاضافة الى ماتبذله الاذاعة والتلفزة والصحف من مجهودات مشكورة فى هذا الباب ٠ وان رأينا المجاهد الاكبر ينادى بتبسيط لغة التخاطب ، فهذا لا يعنى أنه يتنكر للغة العربية وانما هو يطالب بلغة تصلح لابلاغ المفاهيم لجماهير شعبية تجهل، كما بينت ، اللغـة العربيـة ٠

ورشاقة اللفظ واستعماله الاستعمال الخفيف ، وابلاغه الى العـامة بطـرق غير مملـة تألفـه الاذن ، واذا ما ألفتـه الاذن استعمله اللسان ، فانظـر الى اللغة الدارجه وما فيها من التراكيـب والاستعمـالات والالفـاظ الفرنسيـة المعطبـة ٠٠٠

د ـ غ

النعش المجهول

شعر : الطيب الرياحي

— «... وعادت « أبولو8 » سالمة إلى الأرض فانفتحت لها الأفواه وراح المثقف العربي يشيد بالإنتصار ويرفع التهاني بينما راح الجاهل يسخط ويستنجد بالله ... »

إلى الأمام سادتي ،
لا تحذروا السّمر
وعانقوا المُحالَ والنجوم
وطاولوا الرّياحَ والغيوم
ومزّقوا أسطورة القمر . .
لا تسألوا عنا ، ولا تفكروا
موعدُنا القيامه
الى الأمام لا ترددوا
تصحبكم ، يا سادتي ، السلامه ..

* * *

أعرفكم يا سادتي
يعرفكم في أرضنا الكبيرُ والصغيرْ
تعرفكم في أرضنا الجبالُ والصخورْ
تعرفكم حجارةُ الطريقْ
والزيتُ والبترولُ والدقيقْ
وانتم لا تعرفوننا
لا تعرفون أمّةً تمثّلُ العدمْ
يُطربُها النّباحُ والنّعيقْ
تهيمُ بالمديحِ والتعليقْ

وتُلْصِقُ التُّهَمْ . .
لا تَعْرِفُونَ أمَّةً غَرِيبَةَ المَلامِحْ
قَانِعَةً ، لَيْسَ لهَا مَطَامِحْ
لَمْ تَغْسِلِ الافْكَارَ ، لَمْ تُكَافِحْ
وكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ سَوَاعِدٌ مَشْلُولَه
وَأعْيُنٌ مُطْفَأةٌ تَسْكُنُهَا الاحْزَانْ
وَأنْفُسٌ خَبِيثَةٌ عَلِيلَه
يَقُودُهَا بِظُفْرِهِ الشَّيْطَانْ . .

* * *

تَمُرُّ حَوْلَنَا الايَّامُ وَالشُّهُورْ
وَنَحْنُ فِي أسْمَالِنَا نَدُورْ
نَجْتَرُّ مَاضِينَا ،
وَنَسْرُدُ الاخْبَارْ
وَنَنْحَتُ العِبْرَةَ مِنْ تَارِيخِنَا
وَنَخْلُقُ الاعْذَارْ
لأنَّنَا ، لأنَّنَا صِغَارْ
نُؤْخَذُ بِالسَّرْدِ وبِالأخْبَارْ
وَنَعْتَنِي بِالنَّايِ والمِزْمَارْ . .
لانَّنَا نُرِيدُ انْ نَكُونْ
نَقُولُ عَنْكُمْ كَافِرُونْ ! »
نَقُولُ : « اللَّهُمَّ ثَبِّتْ فِي صُدُورِنَا القُرْآنْ
فَنَحْنُ مُؤْمِنُونْ »
نَقُولُ : « اللَّهُمَّ آجْعَلْ مَوْتَنَا عَلَى القُرْآنْ
فَنَحْنُ مُسْلِمُونْ

عيونُنا لمْ تُبْصرِ السَّماءَ مِنْ قُرُونْ
ارْوَاحُنا عامِرَةٌ بِالذِّكْرِ والْبَيَانْ
وَنَحْنُ طَيِّبُونْ
نَمُوتُ فِي حَيَاتِنا ،
لِنَدْخُلَ الجِنَانْ . . »

* * *

طُوبَى لَكُمْ يَا سَادَتِي
فَأنْتُمُ الامْجَادْ
وَنَحْنُ نَعْشٌ تَحْمِلُونَهُ عَلَى الاكْتَافْ
فَمَنْ تُرى يَدْفِنُنَا ،
وَيَدْفِنُ الاحْقَادْ . .
طُوبَى لَكُمْ . .
فَأنْتُمُ الاسْيَادْ
وَأنْتُمُ أحَقَّ بِالوُجُودْ
خُذُوا خُذُوا جُلُودَنَا السَّمْرَاءَ ،
وَاصْنَعُوا مِنْ دَمِنَا وَقُودْ
مَا النَّفْعُ مِنْ حَيَاتِنَا
مَا النَّفْعُ مِنْ وُجُودِنَا
نَحْنُ الذينَ نَجْهَلُ التَّجَارُبْ
نَجْهَلُ لَوْنَ الشَّمْسِ سَاعَةَ الشُّرُوقِ
نَجْهَلُ المَتَاعِبْ
وَنَنْتَشِي بِالفِلْسِ والمَنَاصِبْ
نَحْنُ الذينَ فِي تُرَابِنَا
تَحْرِثُنَا الْمَذَاهِبْ . .

ط ـ ر

أدب السجون ورسائل بورقيبة

بقلم : محمد الشعبوني

(2)

الحديث عن رسائل الحبيب بورقيبة(*)حديث شيق مفيد يبتدىء من يوم كان تلميذا يسرع في الابراق الى المقيم العام محتجا على تعطيل جريدة (الصواب) الى آخر رسالة كتبها بجالطة ، وبين هذه وتلك سلسلة ممتدة من الرسائل المتنوعة المتلاحقة منها رسالته الى الدستور القديم في تخليه عن عضويته ورسالته من برج بورقيبة الى المقيم العام ، ورده على جريدة (النهضة) ، ورسالته الى المرحوم الدكتور الحبيب ثامر ومجموعة رسائله التي كان يوجهها لمحمد علي الطاهر ومحمد المصمودي وابنه الحبيب ، وغيرهم من المواطنين ٠

وسنجد في هذه الرسائل ، لا استعطافا ولا بكاء ولا تحللا من المسؤولية ولا تفكيرا في مال ولا ولد ولا اهل،وانما كان مدار هذه الرسائل يتجه نحو عنوان واحد : (العمل في سبيل تونس) ـ والتوجيه الحكيم لسياستها وهو بسجنه ، وتحريض ابناء البلاد على التماسك والوحدة ، ولا نعني بهذا ان الرئيس بورقيبة ملك لا يتأثر كالبشر ، وانما كان يتألم ويثور ويتلبس باوضاع بني الانسان ، وانما يفوتهم في شيء آخر هو قوة الايمان وعدم التسامح في حقوق الوطن والدعوة لمجابهة كل من يسعى لشل الحركة واخماد نار الثورة في الشعب المكافح ، ولا يعنيه بعد ذلك اطالت المحنة ام قصرت لانه يؤمن بالحكمة : « **اشتدي ازمة تنفرجي** » وما لنا نذهب بعيدا وهذه بين ايدينا مجموعة من رسائله عثرنا على بعضها في كتاب « **رسائل بورقيبة** » لمحمد علي طاهر وكتاب « **بورقيبة حياته وجهاده** » وكتاب « **بورقيبة ومولد امة** » وفي جريدة (العمل) وبعض النشريات والوثائق الاخرى ٠

وان المتأمل في مجموعة هذه الرسائل تتجلى له عظمة صاحبها في مختلف الاطوار والظروف وتنطبع في نفسه معاني الصمود والاستماتة ، وصور المرونة والمهارة ، التي كان يعتصم بها الرئيس ويحسن تنزيلها في مقاماتها ٠ فللعاطفة والاثر البشري دورهما ، وللعقل وثورته كلمتهما ، ويستطيع المؤرخ ان ينشىء من هذه الرسائل كتابا يعرف بصاحبه ويضعه في مكانه من النبوغ والاعزاز ٠ انها قصة الايمان ومأساة بني الانسان ونهاية الصابرين في حب الاوطان ٠

(*) راجع « الفكر » ـ السنة 14 ـ العدد 5 ـ فيفري 1969 ٠

واول ما يستنتجه الملاحظ المنصف هو خلو هذه الرسائل من تلك النوازع والدواعى التى كنا نستمع اليها فى اول الحديث فلا الاسـرة ولا الـرغبة ولا الرهبة ولا الضعف بواجدة طريقها الى قلب صاحبنا وتفكيره وايمانه ، وانما هناك غاية واحدة هادفة يرمى اليها صابرا مرابطا هو انقـاذ هذا الشعب من محنته واحلالها المكان الاسمى ، هو اشهاد العالم على فظاعة مواقف الاحتلال ، هو خلق جو من العطف والتقدير للكفاح البطولى النادر والاستعداد لمواصلة المرابطة والتجلـد ما دامت الاوضـاع لم تتغيـر ، كما يستخلص قارىء هذه الرسائل مواقف الاباء والشمم والروح العالية ، فالرئيس المفدى لا يبالى ان يقف موقف الغضب من ملك البلاد حينما استسلم لعوامل الارهاب والضغط فوجه اليه رسالته المعروفة مرفوقة بالوسـام الملكى واى مـوقف كهـذا واى شمم ٠ ولم يكن هذا الموقف هو الاول من نوعه بل سبقه موقف آخـر أشـد ايمانا واعتزازا بالنفس والشعب والحزب حينما وجه (لبروطون) (*) تلك الرسالة الخالدة التى يقرأ جيلنا الحاضر اسمى معـانى الرجـولة والتضحية والثبات امام فضاضة المكابرين ، وملاحظة اخرى يمكن استقاؤها من خـلال هذه الرسائل هو ان هذا الرجل القوى الايمان لم تكن لترهبه محنة او يضعفه ألم ، وانما اخشى ما كان يخشاه ان يصاب فى بدنه فلا يقوى لا قدر الله على مجابهة الطوارىء ولا يجد شعبه من يدير دفة السفينة من بعـده ٠ فتعهـده بالمسؤولية وتحمله للامانة الكبرى هو الذى يجعله احيانا يتألم اذا ضاقت به الحياة ، وما بالك برجل يتقلب من سجن الى سجن ، ومن منفى الى آخر ولو كان غير بورقيبة ، لما استطـاع ان يقف على رجليـه يومـا بعد الاستفزازات والمضايقات ومحاولات الاغراء والترهيب ، ولكنها رعاية الله تحف بالمخلصين من عباده فى ساعة العسـر من بعـد ما كادت تزيـغ قلـوب فـريق منهم ٠ واذا كانت الرسائل الاخرى عند كثير من العظماء تتناول غرضا خاصا ومواقف محدودة ، فان رسائل بورقيبة تتلاقى فى صعيد جامع لمختلف المواقف فهـو مرة يوجه ومرة يحث ومرة يوضح مشكلا واخرى يرد على الصائدين فى الماء العكر ويستنكر موقف الخذع والضعف من بعض ادعياء السياسة ٠ وانا لنجد استنتاجا آخر من هذه الرسائل والبرقيات هو ترفع الرئيس على الخلافات واعنى بهذا تلك البرقية التى وجهها لرئيس الدستور القديم معزيا فى المناضل ـ محى الدين القليبى ونشرتها الارادة تحت عنوان (تعزية من رئيس جليل) (لا يعرف الفضل الا ذووه) ٠ ولو واصلنا تسجيل الاستنتاجات حول هذه الرسائل لما كفتها حصة كهذه لكن ما لنا والاطالة فيستطيع كل متدبر ان يتمعن فى كل حرف وفى كل نقطة ضمتها هذه الرسائل ليدرك بنفسه ان دراسة هذا اللون

(*) المقيم العام الفرنسى الذى أصدر حكمه بنفى الرئيس فى 3 سبتمبر 1934٠

الخالد من ادب الرسائل يستحق الاهتمام لانـه مصـدر حي لتطـور الحركـة السياسية ، وامتداد مستمر لدفع الثورة وتحريك العـزائم وبث الـوعى فى الصدر ، وتعليم الاجيال مدى ما قاساه الرئيس من محن فى سبيل تحقيق ما نعيش عليه الآن من تقدم وازدهار ، فقراءة رسالة واحدة مما كتبـه الـرئيس بجالطة يعيد للاذهان الظروف التى كانت عليها اوضـاع قضيتنا وكيف ان العصا التى كان يحملها القائد بيده ، قد فعلت مفعولها ، ورمت بالمحتلين فى وقت قريب خارج الحدود برا وبحرا وجوا ·

وها نحن الآن تطبيقا لما قررنا من حقائق وسجلنا من ارتسامات نورد عينات من هذه الرسائل لنركز بها فى الاذهان صورا صحيحة لما قلنا ولما فاتنـا ان نستخلصه من مواقف العبرة والتجارب التى ملئت بها صحائف هذه الرسائل وتحتاج الى تقييم ادق واوسع ·

لقد بدأ الرئيس رسالته بتوجيه برقية الى المقيم العام (لوسيان سان) سنة 1922 احتجاجا على تعطيل الصواب باسم اقرانه التونسيين لنشر هذه الجريدة اشاعة تنازل الناصر باى عن العرش ومـا نشـأ عن ذلك من اضـراب عـام ومظاهرات كما وجه رسالة للحزب القديم فى 9 سبتمبر 1933 · يعلن فيهـا تخليه عن عضويته · وفى شهر نوفمبر 1934 وجـه من منفـاه بـرج البـاف سابقا وبرج بورقيبة اليوم رسالة رجل طريح الى المقيم العام بيروتون يقول فيها معتزا بايمانه وثباته ملقنا المقيم العام درسا هاما : « **لا تنتظـروا منى خضوعا او تراجعا ، فانا راض بمرارة النفى ولو لم تكن له نهاية ، وأفضـل حياة التغريب والابعاد لأنى أريد أن أبقى متماسكا على قدمى** » واية قوة كهذه فى تلك الظروف ؟·

كما بعث الرئيس الجليل ردا على جريدة النهضة بتاريخ 8 فيفرى 1935 · لما نشرت اخبارا تفيد مصادقة الرئيس على اتجاه جديد للحزب وجاء فى هذا الرد قوله :

« **أطلعت بجريدتكم فى عددى السبت والاحد الثـانى والثـالث من فيفرى الجارى ، على سلسلة مقـالات تحت عنـوان : « المسـألة التـونسية واتجـاه الدستوريين الجدد » جاء فيها : « ان الاستاذ الشاذلى خير الله ادخل على الحزب الحر الدستورى سياسة جديدة الا وهى سياسة المراحل والتفاهم مع الحكومة تاركا السياسة السلبية التى اثبتت التجربة انها غير مجـدية وقد اشتـرط الاستاذ خير الله عند قبوله العمل فى الديـوان السيـاسى الثـالث ان يكون برنامجه المشار اليه هو الذى يقع السير عليه فى المستقبـل كما حصـل على**

موافقة المبعدين على البرنامج الجديد في البيان الذى أمضوا له عليه اثناء رحلته في الجنـوب » • ويعلق الرئيس بعد ذلك قائلا : « **قـرأت كل ذلك فقلت في نفسي ما هذه الأجبولة الجـديدة ، التى تنصب اليوم لـزرع بـذور الشـك والاضطراب في الشعب التونسى نحو رجاله العاملين • ما هاته المغامز التى ترمى للفت في ساعد الامة لتحرمها ثمرة صبرها وثباتها ثبات الرواسى على مبدا جليل استشهدت لاجله عشرات من النفوس الزكية وزج من اجله مئات من الاحرار في ظلمات السجون ؟ أنتهم نحن المشيدين لهاته الحركة الغارسين لتلك الشجرة بالتراجع عن برنامجنا المقدس وطريقتنا المثـلى ، والالتجـاء الى غيرها مما اثبتت الايام بل السنون عقمه خصوصا وقد انبثق امـامنا فجـر النصر بعد طول العناء ، وجاءت التجربة حاسمة لكل جدال وقل جـاء الحـق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، الحقيقة انه لم يقع شىء مما توهمتموه وجميع الاستنتاجات التى رأتها جريدتكم لا نصيب لهـا من الصحـة بل هى أوهام وأضغاث احلام** » •

ويخرج الرئيس من سجنه ويعد الشعب ليوم عظيم كان من مظاهره اليوم التاسع من أفريل 1938 • ويعاد للمعتقلات ويواصل اتصاله بشعبه بواسطة الرسائل محذرا وموجها ومن رسائله البارزة تلك التى توجه بها في 8 أوت 1942 – الى الدكتور ثامر رحمه الله من حصن « سان نيكولا » يدعوه فيها للحذر والوقوف بجانب الحلفاء لما في ذلك من كسب لقضيتنا رغم ما في ذلك من اتعاب ويختم الرئيس هذه الرسالة قائلا : « **ومهما يكن من أمر فواجبنا تأييد الحلفاء بدون قيد ولا شرط لان غايتنا الاساسية ان نكون في صف المنتصرين عند انتهـاء الحرب باعتبار اننا شاركنا في اسباب الانتصار ، مهما كانت مشاركتنا ضئيلة وحتى لو قدر لنا ان نتجرع من سلوكنا هذا اشد المضاضة فانا نكون على كل حال قد استحققنا احترام فرنسا والحلفاء ولنا في ذلك بالاضافة لضمان البقاء عدة لاستئناف كفاحنا بسلاح حاد في معاركنا المستقبلة سيتـاح لنـا بهمـا تحقيق كل آمالنا** » •

وفعلا لقد انتصر الحلفاء كما تكهن فخامته ولم نخسر الموقف على كل حال ويستأنف الرئيس جهاده ويهاجر الى الشرق ويترك لابنائه وصية وهو في طريقه الى صفاقس في اواخر مارس 1945 • هذا نصها : « **ها أنا ذا سأفارق وطنى تاركا أعز عزيز لدى ، أهلى وولدى وأحبابى وذلك لتلبية نداء وطنى واستجابة لما تدعو اليه مصلحة الشعب • اننى ذاهب حيث لا أهل ولا أقارب ولا أصدقاء ، لا أدرى هل أعـود الى وطنى أو أمـوت مغتربا فالذى اطلبه من الجماعة هو ان يأتوا برفاتى اذا ما مت كى تضمنى في ثراها هذه الارض التى ضحيت من أجل عزتها وكرامتها •**

ويكتب الرئيس وهو بالشرق غريبا عن وطنه الى ولده رسائل مثالية هى الى التشبع بروح التضحية والصبر أقرب من أن تكون حديث والد الى ولده يقول فى الاولى : « **أعلم أن أباك مهاجر قد ضحى بكل ما لديه فى سبيل وطنه ، واحمد الله على هذا المبلغ الذى خصص لك ٠ أجل انك ستضطر الى أكل اللحم المتعفن ولكن ذلك لن يضربك فلقد اجتزنا كلنا هذا السبيل الذى تسلكه انت اليوم وستمكنك هذه الحالة من ان تجرب بنفسك الحياة التى ليست كلها افراحا ، فاعلم ان الحياة كفاح مستمر ولا ينجح فيها الا من تحمل تجاربها الشاقة منذ صباه اما اولئك الذين لم يتجشموا الا عناء الحلول بهذا العالم فانهم لا يفلحون ابدا وانهم يموتون بدون ان يتركوا اثرا على وجه البسيطة** » ٠

ويقول فى الثانية : « **لا شىء أشق على المنفى من عدم اتصاله باخبار وطنه ٠ لقد انتشر الوباء بالبلاد وأنا نعيش اليوم فى حد عميق ٠ انى لمشتاق الى الجو العائلى اذ ان حبى لعائلتى شديد وقد شعرت دائما بحنين الى الوطن خاصة وان القدر المحتوم قد حكم بان اعيش مبعدا وحيد** » ٠ ويقول لمواطنيه فى هذه الرسالة : « **ان النصائح والاوامر التى وجهتها اليهم لم يكن لها اثر ولم يقدر احد على فقدان حريته ، ولا على التضحية بنفسه ٠ وهذا هو شأن الشعوب المحكوم عليها بالعبودية ، فانها تريد ان تتحرر ولكنها تترقب التحرير من الخارج بفضل بعض المعجزات ٠ غير ان المعجزة لن تأتى ما دام الناس لا يقومون بشىء داخل وطنهم** » ٠

ولئن كانت هاتان الرسالتان مما كتب خارج السجن الا انهما صيغتا وهو بعيد عن الوطن متشوق اليه ، يحث قومه على الايمان بمبدا التضحية والاعتماد على النفس ٠ وتدور عجلة الزمن ويعد الرئيس العدة للثورة ويبعد عن الميدان بجسمه لا بروحه وتفكيره وبعد ان اطمأن الى الاستعدادات ها هو ذا يراسل صديقه محمد على الطاهر من باريس فى 1951/12/27 ٠ تحت عنوان : « الى ساحة المعركة » يقول له : « **فقد انقطعت المفاوضات بصورة جعلت مسؤولية الفشل على الحكومة الفرنسية ، مما جلب لنا عطف كل الوفود الدولية ، وحتى الراى العام الديموقراطى الفرنسى فلم يبق امامنا الا الكفاح المباشر الى النصر النهائى أو الموت الزؤام ولا اخال الدول الكبرى تخذ لنا فضلا عن اخواننا العرب والمسلمين** » ٠

ويعلق محمد على الطاهر على هذه الرسالة مبديا خوفه على الرئيس وقد ابدى الرئيس رغبته فى العودة الى تونس ٠ فماذا كان جواب الرئيس : « **أنا لا أخشى السجون لأنى أعتدتها ٠٠٠ وليكن ما يكون لأن قتلى سيؤدى حتما الى ردة فعل عند الشعب التونسى فيستبسل فى قتال فرنسا** » ٠

ومن يتتبع جواب الرئيس الى محمد على الطاهر خصوصا الرسالة الموجهة فى 26فبراير 1952 ، بعنوان من الاعتقال بجنوب تونس صفحة 22 « من الرسائل » ، او التى وجهها من جانطة فى 14 يولية 1952 بعنوان « آلام المجاهد فى المنفى وافراح الاعداء » صفحة 23 او التى عنوانها « مكاشفات وآمال وتصميم على النضال » بتاريخ 10 ديسمبر 1952 صفحة 24 من الرسائل ، فانه يقف على سلسلة من الآلام والآمال ، من التفكير الدائب والتدبير الحى فى سبيل انقاذ الوضع وتحريك الهمم والتأثر ، من مواقف المخذولين ، ونكتفى بايراد هذه الفقرة من رسالته المذكورة اخيرا : « **لقد رجعت بى الذاكرة الى تلك الندوات الممتعة بدار الشورى العامرة ، معقل النزاهة والصراحة والرأى السديد ، وما يتجلى فيها من روح الكفاح والتمرد على الظلم والطغيان ، وتذكرت حكاية « السياج والدجاج » وهى حكاية هزلية نجدها فى كل زمان ومكان ، حكاية العاملين الصابرين الزاهدين ، والقاعدين ، المتفرجين والمنتقدين ، ، حكاية بنى اسرائيل مع موسى اذ قالوا له : « اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون »** ٠

ومن الجزيرة دائما يوالى الرئيس توجيه رسائله ، فهذه رسالة الى الاخ محمد المصمودى مؤرخة فى 10 اكتوبر 1952 ، نشرت بالعمل فى غرة فيفرى 1957 ، يوضح فيها الرئيس موقفه من المغريات واجابته للاميرال ـ ماندى ـ حينما طلب منه رفع رسالة الى المقيم يلتزم فيها بالهدوء يقول الرئيس : « **ان من ارسلكم لا يعرفنى ولا شك ، والا لما اقدم على مفاتحتى بهذه الشروط ، انى لم افعل قط الا ما املاه على الواجب ، وانى ما زلت مقرا العزم على مواصلة القيام بواجبى فى اى مكان كنت ، وطالما بقيت بقيد الحياة ٠ ان السعادة الوحيدة التى انعم بها فى هذه الدنيا والتى ليس فى مقدور اى كان ان يحرمنى منها فضلا عن ان تؤثر عليها المحن والاعاصير تتمثل فيما اشعر به من الارتياح لقيامى بواجبى على الوجه الاتم ٠٠٠ ولتتأكدوا من انى لن التمس اى شىء من مسيو ـ دهوتكلوك ـ ولن ابعث اليه ولو بكلمة واحدة ٠ وعلى كل فانى استنكف من ان اكون مدينا له بحريتى او حتى بتحسين نظام عيشى فى المعتقل** » ٠

ولنقرأ الآن آخر هذه الرسالة التى كتبت فى جالطة فى ساعة من ساعات العسر والانقطاع عن الناس وهى تدل على نفسية القائد وايمانه العظيم برسالته : « **انى اعيش منذ اكثر من شهر على ضوء الشمعة الخافت رغم انهم امدونى منذ نحو الاسبوع بمصباح زيتى ولكن رائحته الكريهة جعلتنى افضل عليه الشمعة ، لقد حاولت تذكير نفسى بانى تابعت دروسى كلها فى تونس على ضوء المصباح الزيتى لكنى اعتدت الاستضاءة بالتيار الكهربائى**

لاشعر بالفرق الكبير » ... الى ان يقول : « **انى كنت فى نعيم ولكنه نعيم لا أتأسف على فقده لانى اعتبر ان غرفتى الباردة والمظلمة بجزيرة جالطة نعيم ايضا . فهى مضاءة ودافئة بشعور من قام بواجبه انه نور اقوى من جميع الانوار الكهربائية ، ونار تبعث الدفء كأحسن المواقد بأضخم الفنادق واى شىء احسن من ان يقف المرء فى وجه القوة العمياء ويناهض الظلم والجبروت وان يتحمل جميع انواع العذاب والحرمان ليسرع بتحقيق هذا المثل البديع فى العدالة والحرية والاخوة البشرية ويرتفع عن مصاف الحيوانات وهذا يساوى بحق جنات الارض بأكملها ولذا فانى لا أتأسف على شىء ولا ابكى مصيرى** » .

فما قولكم ؟ أليس من الاعتزاز بالبطولة والايمان ان نعلم مثل هذه الرسائل لأجيالنا وشبابنا . وان تكون مادة نصوص حية ، وهذه رسالة اخرى ابلغ من اختها موجهة الى السيد عمر المشرى مؤرخة فى 11 سبتمبر 1952 - نقتطف منها هذه الفقرات التى تنشر الايمان وتدل على ما لنفس كاتبها من روح جبارة لا تعرف الضعف ابدا يقول الرئيس بعد الديباجة : « **حيا الله الخضراء والساحل بالخصوص الذى ينبت الرجال الافذاذ ، رجالا يذودون على الحق والكرامة والشرف ، وينازلون الظلم والعدوان فينعموا برضى الله ورضى الضمير بعد حياة كلها كفاح وجهاد ، ثم ميتة عزيزة تبقى عبرة ودرسا للعباد ، وتنقذ الوطن من هوة الاستبداد ، ومعرة الاستعباد ، نعم لقد وردت على مئات من المكاتيب من اقاصى القطر التونسى من سجونه ومحتشداته وحتى من الخارج لكننى والله لم أتأثر مثلما تأثرت بمكتوبك البليغ الذى سأحتفظ به كأبلغ صرخة صادرة من اعماق الشعب التونسى الذى بهر الدنيا بكفاحه المستميت رجالا ونساء ، ملكا ورعية كلهم فى صف واحد يشد بعضهم بعضا :**

اذا غاب منا سيد قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول

ان تونس بخير وان يوم النصر آت لا ريب فيه ... »

ويقول من رسالة اخرى مؤرخة فى 20 ديسمبر 1952 : « **فلم يبق لنا الا ان نواصل العمل ونتمسك بالصبر ونثبت فى الربع الساعة الاخير . وعلينا الا ننسى ان الخطوط التى تعترض طريق الاندماج بل الحائط الذى انتصب فى آخر الزقاق لا يتركب من الخط الملكى فقط بل هناك وراءه خطوط اخرى شعبية سوف تبقى ثابتة ، وتتركب من صدور وارادة شعب باسره لا يرضى ابدا بتغيير الصبغة الاساسية للدولة التونسية ، ولو كان ذلك عن طريق ما يسمونه بالاصلاحات البلدية قصد ابقاء الهيمنة الاستعمارية على الدوام . ولك**

ان تثق بان هذه الخطوط سوف تكون منيعة حصينة ، ولذا فلا داعي للخوف على المستقبل اذا ثبت كل تونسي في مكانه ، ولسوف يأتي اليوم الذي تجد فيه فرنسا مخلصا من الزقاق ولن يكون ذلك الا بالنكوص على الاعقاب وهو الطريق الوحيد الذي بقي امامها » ·

وهكذا ترون ان الرئيس كان دائما لا يعتمد الا على شعبه وانه كان دائما ممسكا بيد من حديد بدفة توجيه السياسة في ادق مراحلها وارهبها ·

ومن اهم ما كتب الرئيس بجالطة الرسالة التي توجه بها الى محمد الامين في 2 جانفي 1953 ، حينما ضعف موقف الملك والقضية في أشد ظروفها وجاء في هذه الرسالة قوله : « **أرى أنه من الاجرام الكفر بنعمة الله ان نستسلم للضغط والارهاب في هذه الفترة الحاسمة التي سوف لا تطول اكثر من بضعة اسابيع اخرى او بضعة شهور ، ثم تنفرج الازمة عن نصر من الله ، وفتح قريب يكون جزاء صبرنا وثباتنا وايماننا الصحيح بالله وبرسوله وباليوم الآخر · نعم امام كل هذه الاسباب التي وفرها الله لنا للخلاص ارى انه من الخور وسوء التدبير ان نظهر الضعف في هاته الدقيقة الرهيبة فنشجع الاستعماريين على الامعان في الاضطهاد ونخذل في الوقت نفسه كل الشعوب التي ناصرتنا وكل الدول التي تعرضت لعداء فرنسا وغضبها من اجلنا ونحن في معركة الحياة او الموت ، سوف نقرر مصيرنا لاجيال عديدة : اما عزة وكرامة وحرية واستقلال واما ذل ومهانة الى الابد · وعليه فاني اختم كلامي بهذا النداء الذي ابعث به اليكم من اعماق القلب باسم الدم العزيز الذي يجري في عروقنا والدين الحنيف الذي الف بين قلوبنا بحق الوطن الطاهر النظيف الذي فيه نبتنا وبخيراته عشنا وفيه نموت ، أتوسل اليه في ضراعة وخشوع في هذه الساعة الرهيبة التي ستواجهون فيها لا محالة محاولات عديدة وتهديدات عنيفة ان تذكروا الله عز وجل وتقولوها من الآن كلمة مدوية تهز مشاعر الشعب التونسي وشعوب الدنيا كلها ، كلمة سوف توطد اركان عرشكم المفدى في قلوب التونسيين وتضمن لكم ولاحفادكم واحفاد احفادكم غائلة الدهر الخؤون وهي انكم تفضلون ميتة اسلامية شريفة تكسبون بها رضى الله ورضى الضمير على تراجع جديد في حقوق الامة التي اصطفاكم الله لتكونوا على رأسها وسوف يحاسبكم على ما قدمت يداكم في حقها ، واعلموا ان من اختار الموت على الهوان وهبه الله العزة والحياة سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا » ·**

انها حقا وثيقة خلود ضمت اسمى المعاني واصدق آيات التوجيه والحض على الوقوف بجانب الامة في احلك الساعات ·

ولم تمنع قوة العواصف قلب الرائد الكبير من ان يرد على من ادعى انه تم أمره ، برسالة نشر جزء منها بالاكسبريس بتاريخ 29 ماى 1954 جاء فيها : **« لن يفت فى عزم الشعب او يفنيه شىء عن كفاحه المقدس ، لا تخاذل باى ارهبه التهديد بالخلع والتغريب ، ولا خيانة مغامر عديم الوازع ، ليس له اى مبرر من جهل او اكراه • ان الشعب التونسى لن يرضى ان يكون فى وطنه مجرد مجموعة من الافراد تمثل طائفة دينية او وحدة لغوية وهو يعلم ان الكفاح سيكون طويلا ومريرا غير انه سيواصل صراعه الى النهاية دون ضعف ولا بغضاء ، تدفعه الى ذلك غريزة حب البقاء وسوف يوضع حد للكفاح وتجنح البلاد الى السلم يوم تعود الحكومة الفرنسية بعد اطلاعها على حقائق مجرى الاحداث الى احترام المعاهدات والقيم الاخلاقية والتزام حد ادنى من العدالة والنزاهة ، اما قبل ذلك فلا » •**

وهل رأيتم صحة هذه النظريات • لكأنه كان يقرأ فى جبهة الغيب ما ستنبثق عنه المعركة التى اوصى فيها بالمداومة وطول النفس الى ان يخضع العادى ويعرف انه لا بد من الرجوع للمفاهمة ومع بورقيبة نفسه • بورقيبة الذى قبل الحكم الذاتى كمرحلة نحو الاستقلال وها هو ذا يخاطب صاحبه محمد على الطاهر من معقل ـ شانتياى ـ من اطراف باريس فى 16 ديسمبر 1954 ـ قائلا بعد كلام طويل : **« لم نر بدا من قبول حل وسط يحفظ كيان تونس الدولى الذى كانت قضت عليه لائحة 15 ديسمبر 1951 ـ ريثما نعيد تنظيم الشعب الذى انهكته الثلاث سنين الفارطة ، ولنستانف الكفاح بوسائل اعظم من ذى قبل متى استقرت احوال الدول الشقيقة وحصلنا على امكانيات فعالة فى الميدان السياسى • وخلاصة القول ان كفاح الشعب التونسى لم ينته بعد وسوف يبقى قائما بيننا وبين الاستعمار ما دام قائما فى بلادنا جاثما على صدورنا ، وسوف يتطور ويتوسع نطاقه بحسب ظهور الاحداث العالمية والامكانيات ، حتى تسترجع تونس سيادتها الكاملة وتفوز باستقلالها التام هذا ما عاهدنا الله عليه من يوم دخولنا حلبة الكفاح فنحن قوم لا نخلف العهد والمستقبل بيننا » •**

وها هو ذا المستقبل ، تحرر تام ، جلاء كامل ، مخطط شامل ، حياة متطورة ، شعب حر كريم ، ايمان بالغد ، سعى وراء تحقيق فرحة الحياة •

وهكذا تصح تنبؤات القائد ويصدق عهده ، وتبقى هذه الرسالة كنزا ثمينا يراجعها الانسان ويقارن بين ظروف صوغها والظروف التى تحياها تونس اليوم فيزداد ايمانا على ايمان بان الرجل العظيم يبقى عظيما فى منطقه ونقاشه وآرائه وايمانه لا يتحول ولا يريم الا بما يغمض على قصار النظر ،

الذين لا يفهمون معنى السياسة الا فى الارتجال والضوضاء بينما السياسة قد وضع مخططها صاحب هذه الرسائل وسن لها منهجا حكيما حبذا لو تبنته كثير من الامم لتلقى الحلول السليمة لقضاياها المتعددة ·

وانى لارجو ان ارى رسائل الحبيب ، وبرقياته ومقالاته الصحافية ، وجميع بياناته وخطبه ، فى سلسلة كتب ، يختار منها ما يصلح بالتعليم والشباب فيقرر مادة للتدريس لانها رسائل جمعت فاوعت ، وفاقت الوان الرسائل التى عرفناها قديما وحديثا ، حيى الله الرئيس الذى مهد وزرع وانبت وآتى غرسه الثمار وعاش حتى راى آماله وامانيه تتجسم فى وطنه ، وآراءه تشع فى الدنيا بكامل الهيبة والتقدير ·

م· ش·



تقولين

شعر : علي عارف

« الى أم ريم تجديدا لذكرى »

ع. ع.

تقولين : « أهملتنى منذ عام » ... تقولين : « حبك عنى تحول
« وما كان يوم التقينا طوته الليالى سريعا ولم تتمهل »
وترمى بك الذكريات بعيدا ... فيهتز ماض لديك ويقبل
نما فى ربيع وأزهر فيه ... تلاه شتاء عنيف فأمحل
تظنين أنى سئمتك ! رفقا ... فانى أحس بقلبى يقتل
أتحيا عواطفنا سنتين ... لتخمد فى سنتين وتهمل ؟
ولما نزل فى حياة ربيع ... لها الحب نبع دفوق وجدول

* * *

فكم من ليال أراك تنامين جنبى عميقا وعينى تسهر
لترعاك فى النوم حبا عميقا ... وأصغى لدقات قلبك تنبر
فأغضب حينا لبعدك عنى ... على قرب جسم – وحينا أفكر :
أبقصيك عنى رقاد أليف ؟ ... فتطغى بنفسى سجون وأبحر
الى وسوسات وخوف عليك ... من الموت وهو الرقاد المقدر
فأصغى جديدا الى دق قلب ... وألهو بشعر بكفى تبعثر
لأنسى شجونى . وأطلب نوما ، ... تنامين جنبى وعينى تسهر .

* * *

تقولين : إنى ولوع « بريم » ... تغارين منها وحبك أسبق
بنيتنا ! هى منك ومنى ... وحلم تمنيت أن يتحقق
تغيبين عنى فاذ ما أراها ... أراك أمامى وقلبى يخفق
حنينا اليك وشوقا جديدا ... كأن لم تغيبى ولم نتفرق
فأرقب وقع حذائك حينا ... لأفتح بابا اليك وأغلق
وتبسم ريم وتنعت أما ... فتملأ نفسى الحياة وتشرق
أحبك فيها أيا أم ريم ... وحبك أصل وحبك أسبق

ع. ع.

الكـــلاب

قصة بقلم : محمـد بـاردى

مد اليها يده ٠٠ تحسس أصابعها الرقيقة ، فعلت ثغره ابتسامة شـاردة ابتسامة ساخرة ، نظر الى ما حوله فرأى الاكف الغليظة تمتد اليـه ، تصفـق فتشتد ٠٠٠ وتثقب أذنيه أصوات حـادة صـاخبة ٠٠٠ أصـوات الفلاحيـن الممتزجة ٠٠ يصيح الأطفال ويهلل الرجال وتزغرد النساء ٠٠ وتمتد اليـه الأعناق ٠٠ أعناق طويلة تحمل « كبابيس » حمراء قد اسودت حواشيهـا ، فعاودته ابتسامته الساخرة ، وود لو يصرخ فى وجوههم جميعا :

ـ اذهبوا كلكم الى الجحيم ٠٠ انتم كلاب ـ كـلاب ٠٠

ونظر اليها ٠٠ فلاحظ ابتسامة ملائكية ترتسم على شفتيها ٠٠ فابتسم مرة أخرى ثم ضحك

ـ انهـا من سليقة هـؤلاء الكـلاب ٠

دخلا الغرفة ٠٠ فاستقبلتهما رائحة طيبة ٠٠ واستلقى منهكـا على أريكـة ملقـاة فى ركن من اركان الغرفة ٠٠ وأخذت نظراته الشاردة تمتد الى كامـل الأثـاث الجديد ٠٠ الى السرير الذى سيحمل جسدين ٠٠ الى الخزانة الجديدة ٠٠ والمنضدة التى تحمل المرآة والعطور ٠٠ ثم استقرت نظراته على عروسه فى ثوبها الأبيض الشفاف ، وذابت فيها نظراته التائهة ثم كأنه عاد الى رشده :

ـ مالك واقفة يا سعاد ٠٠ أنت الآن فى بيتك ٠٠ افعلى ما تشائـين

وأدار زر المذياع فاندفع نغم عذب يترنم بأغنية جميلة ٠٠ أروح لميـن ٠٠ وأقول يا مـين ٠٠ فامتعض وأدار الزر مرة أخرى بعصبية فصمت الجهاز :

ـ روحى الى الشيطان ٠٠ العرب وأم كلثوم ٠٠ عضوان لا ينفصلان ٠٠

وراحت نظراته تتيه عبر أرجاء الغرفة ٠٠ وكانت عروسه واقفة قد بدا عليها الوجوم والخجل ٠٠ ومرة أخرى استقرت نظراته على ثوبها الأبيض الشفاف ٠

ـ ألم تسمعى ما قلت ٠٠ اخلعى ثيابك ونامى ان شئـت

انزلقت هذه الكلمات الى أذنيها غريبة ٠٠ انه قد جن هذه الليلة ٠٠ فتمثل « سارتر » أمام مخيلتها ٠٠ لا سامحه الله ٠٠ لقد استتبت العدوى ٠٠

ظل جالسا ٠٠ ثم انتفض واقفا وقد بدا على وجهه شحوب ٠٠ واتجه نحو النافـذة فأزاح الستار وأرهف أذنيه الى الاصوات المختلطة الآتية من الخارج ٠٠ مازالت دقات الدربوكة تختلط بتصفيق الاكف وزغردات نساء الفلاحين٠٠ ونسى نفسه لحظة فغاب فى خيالاته ٠٠ مر ردح من الـزمن اذا به يعـود الى نفسه عندما خيم الصمت خارج الغرفة ٠٠ ثم بعض الهمسات تصل اليـه ، لقد وقفت بعض النسوة خلف الباب يتحدثن بصوت خافت ٠ فابتسم ثم أطلق قهقهــة عنيفـة :

ـ لقد ملت الجماعة الانتظار ٠٠ اسمعى هذه الهمسات ٠٠ انهم ينتظرون٠٠

وفجأة كـف عن الضحك فعاد اليه وقـاره :

ـ انهم كلاب ٠٠ انظرى الى هذه الرؤوس الصغيرة التى تطل علينا بأعينها الضيقة الثاقبة ٠٠ انها تكاد تثقب الجدار ٠٠ انهم كلاب ٠٠ كلاب ٠٠

سألته عما به فقاطعهـا :

ـ لا شىء يا عزيزتى ٠٠ انهم ينتظرون ٠٠ ابعدى هذه الكلاب عنا ٠٠ انهم جياع ٠٠ جياع ولكنها لم تفهم ما قال لها ٠٠ فظلت واقفة وفى عينيها حيـرة عميقـة ٠

ـ لم تفهمى بعد ٠٠ طيب ارمى لهم قطعة قماش بيضاء ٠

وعندئذ فهمت ، فانفرج الباب وألقت منديلها الأبيض ٠٠ فعـاد الهـرج والمرج ٠٠ عادت الزغاريد ودقات الدربوكة تملأ ساحة المنزل الفسيحة ٠٠

خلعت سعاد فستانها الأبيض وأبدلته بثياب النـوم ٠٠ ثم استلقت فـوق الفراش :

ـ وأنت ٠٠ ألا تريـد أن تنام

ـ لا

ـ لمـاذا ؟

ـ نحـن ضـذان

انتهت ليلة « الدخـول » فبدا الاعياء على كل أفراد الاسرة ، فغاصوا فى نوم عميق بعد ثلاثة أيام قضوها متعبين ٠٠ كان السكون قد خيم على فنـاء المنزل عندما انزلق أحمد فى زقـاق القرية ٠٠ وكان الليل قد انتصف اذ ذاك أوكاد ٠٠ فلم يكن فى الزقاق الطويل ما يثير انتباهه رغم أن الليلة ليلة صيف ٠٠ لقد نام سكان القرية سوى بعض المارة الداخلين الى منازلهم بعد أن أنهوا جولة طويلة فى لعبة الورق أو الخارجين منها الى الواحة المطلة حيـث يقضون بقية الليل فى السواقى الطويلة الممتدة يتتبعون مسيرة الماء الى غاباتهم الـتى أتت عليها حرارة الصيف ٠

مضى فى الزقاق الطويل ، لا يكاد يلتفت الا ليرد على تحية أحد المارة ٠٠ وكانت افكار سوداء عنيفة تجول فى مخيلته ٠٠ لم يدر لماذا خرج من داره فى هذه الساعة تاركا ملاكه مضطجعا فى ثوبه الابيض ٠٠ ومرت به جماعة مـن الفلاحين ، وعلى اكتفهم مساحيهم الحادة ٠٠ ولكنه لم يتفطن اليهم الا عندمـا انقطعت ضحكاتهم ٠ فقال أحدهـم ٠

ـ أليس هذا سى أحمد ولد الحاج عبد الله

فأجابه صاحبـه :

ـ انه بعينه ٠٠ انه يمشى راجلا ٠٠ وأين السيـارة ٠٠٠

فقال ثالـث مستفهما

ـ وماذا يصنع هنا ٠٠٠ أليست هذه ليلة ٠٠ دخوله ؟

فأجـاب رابـح متهكمـا

ـ انه قد جن ٠٠ لقد ترك عروسه تضاجع الوسائد ٠

وابتعدوا يتفكهون ٠٠ فلم يعد يسمع منهم سوى ضحكات طليقة فتوقـف قليلا ثم عاد يمشى وعلى شفتيه كلمات مبهمة :

ـ اذهبوا الى الجحيـم ٠٠ انتم مجانيـن ٠

* * *

غاص فى الواحة الكثيفة ، فشعر براحة عميقة تملأ كيانه ٠٠ ولاح له نـور مصباح ضئيل يكاد يموت بـين النخلات المتناثرة ٠٠ فاتجه اليه ٠٠ وبـدأت تتضـح له الطريق ٠٠ وعرف مكان المصباح انه كوخ العم ابراهيم ٠٠ فقرر أن يدخله ٠٠ نبح الكلب الرابض فخرج العم ابراهيم بعصاه الطويلة ٠

ـ مـن الآتى ؟

ـ خيـر ان شـاء الله

شعر العم ابراهيم بقشعريرة تسرى فى جسده ٠٠ ولكنه أجابه بعـد أن استعاد شجاعته :

ـ ما وراءك الا الشر يا سى أحمد ٠٠ طبعا أتيت بالحرس الوطـنى ٠٠٠ هذه المرة أيضا ولكن سوف لن تجد شيئا ٠٠ لن تجد شيئا ٠٠

لقد تعود « أحمد » أن يأتى بالحرس ، فيفتشون الكوخ الحقيـر حـتى يعثروا على « خابية اللاقمى الميت » التى تديـر الـرؤوس ٠٠ ويمضى العـم ابراهيم الى السجن ويظل فيه أسبوعا ٠٠ أو شهرا ثم يعود الى كوخه فيمـلأ الخابية مرة أخرى ماء نخيل مسكر ٠٠ ويعود يسكر الجماعة ٠٠ ولكن الخابية هذه المرة فى مأمن ٠٠ انها تحت الأرض

وذهب ما به من خوف وفزع عندما رأى على شفتى أحمد ابتسامة لاحتعريفة من خلال النور الشاحب المنبعث من المصبـاح الصغير

ـ هل عنـدك ما أشـرب ٠٠

لم يصـدق أذنيـه ولكنه تمتم فى ذهول :

ـ تفضـل ٠٠٠ تفضـل ٠٠٠

دخل « أحمـد » الكوخ الصغير فوجد جماعة من الرجـال جاثين بوجوههم الكالحة وأمامهم قلة « اللاقمى » وقطع لحم كلب ناضجة ٠٠ فجلس صامتا ثـم طلب شرابا ولحما ـ فانطلقت قهقهاتهم تصم أذنيه :

ـ قلت لكم أريد أن أشرب مما تشربون ٠٠ ألم تسمعوا ٠

مد احدهم اليه القلة وأضاف آخر قطعة لحم ٠٠

شرب جرعة ـ ثم أخرى ـ وأدخل فى فمه قطعة لحم ٠٠ وحرك أضراسه٠٠ أضراسه تطحن قطعة لحم كلب ٠٠ ثم توقفت عن الحركة ٠٠ فتذكر ما كانت تقوله أمه عندما كانت تحذره من مشاركة ابناء الفلاحين من أكل لحـم الكـلاب وقد كان صغيـرا ٠

ـ اياك أن تأكل لحم الكلاب ٠٠ فانك ستبقى أسبوعا كاملا كلبا ٠٠٠

حرك أضراسه بشدة فأحس بقطعة اللحم تذوب ٠٠ ونظر الى الكسوة التى

يرتديها ـ لقد اشتراها منذ اسبوع فقط لتكون كسوة « العرس » فتذكر كلام أحد الفلاحين يحادث صاحبه عندما كانت سيارته تعبر زقاق القرية :

ـ انه برجوازى كلـب ٠

فابتسم وأخذ القلة حتى أتى على ما فيها ٠٠ ثم ضحك ضحكة قوية :

ـ أنا كلب يا جماعة ٠٠ وانتم كلاب ٠٠ نحن جميعا كلاب

وغاب عن الوجود ٠٠ فضحكت الجماعة ٠

ـ مت كما تمـوت الكلاب ٠٠

* * *

وجد نفسه يسير فى نفس الممر الملتوى المؤدى الى القرية ٠٠ كان النسيـم يمر على النخـلات المتناثرة فيحدث السعف نغمات رقيقة متماوجـة ٠٠ ولمس بطنه المكتنز فأحس بقطع اللحم ـ لحم الكلب ـ تجول فى مصارينه ٠٠ ثـم نظر الى كسوة الترقال التى يرتديها فعلت شفتيه ابتسامة ساخرة وتمتم ٠٠ برجوازى كلـب ٠٠ حقا لقد صدق الرجل ٠

أحس بالتعب يلسع ساقيه ، فمال الى المقبرة القريبة ٠٠ ولاح له قبر أمه عندما بدأت ستر الظلام تنفجر عن فجر جميل ٠٠ فأحس بقدميه تجرانه اليه ، فأتاه متعبا وجلس على حافته ينشد الراحة ورفع يده الى مقلتيه فاحس بدمعة تنزل حارة على خده ٠٠ كم ودت أمه أن تراه عريسا ٠٠ لقد قالت له مـرة : أعز أمنيتى يا ولدى أن أزوجك بنت حلال ثم أموت ٠

ورفع منديله فمسح عينيه الدامعتين وحاول أن يقف لكنه أحس بقطع اللحم تجول فى جوفـه تغلى ثم تصعد الى حلقه ٠٠ وأحس بدوار فى رأسه فانحنى قليلا وأخرج ما فى جوفه ٠٠ وبعد دقائق شعر ببعض الراحة والهدوء ٠٠ فقام متثاقلا ثم التفت الى قبر أمه متمتمـا :

ـ سامحـك الله يا أمى ٠٠ لماذا حرمت على أكل لحم الكلاب

وأخذ طريقه ٠٠ فأحس براحة عميقة تدخل كيانه ٠٠ واستعاد نشاطـه عندما بدأت القرية تقترب شيئا فشيئا تحت نور الفجـر الطالـع ٠٠ بـدأت جماعات الفلاحـين تملأ الطرقات الملتوية وعلى أذرعهم السمر مساحيهم الثقيلة ٠٠ فشعر أحمد بطمأنينة تدخل روحه وكيانه وحياه الشيخ صالح وهو راكب حماره تحية الصباح ٠ فرد عليه أحمد :

ـ صبـاح النـور يا عم صالح ٠٠

ودخل غرفته فوجد عروسه قد ذهب بها النوم ٠٠ فأثار فيه جسدها شهوة عارمـة فأتـاهـا وكان التحاما وذوبانـا ٠٠

م ـ ب

جسم الكلمات

شعر : الطاهر الهمامي

(1)

أحدثها
عن الكلمات عن أبعاد مشكلتى
عن الكلمات كيف تهب فى قلبى وفى رئتى
وكيف تثور فى الأعصاب
وتعصف بى
أحدثها أنا عن أحرف دموية الدوره
أغنيها عن الثورة
وعن سفرى مع الكلمات
أغنيها عن الأسفار
وعمن مات
عن التاريخ
وكيف تغير التاريخ فى أشعارنا الكلمات

(2)

أحدثها عن الفجر
عن الأنوار إذ تسرى
عن الانسان فى بلدى
يريد اليوم أن يمضى
وأن يقضى
على الأكواخ والفقر ٠
أحدثها وهل تدرى
عن الأشباح
وكيف يهب طيف الروح فى الأشباح
عن الظلمات إذ تنزاح

(3)

أحدثها عن الصخره

وكيـف تليـن
وكيـف تفـوع مـن أعمـاقهـا الـزهـره
وكيـف تنـز مـن أغـوارهـا القطـره
أحـدثهـا عـن الصحـراء
وعـن واحـاتنـا الخضـراء
وكيـف تفجـرت آبـارنـا الثـره
وسـال عـلى الصحـارى المـاء
وسـال المـاء والبتـرول
أحـدثهـا
عـن الأكـواخ كيـف تـزول
وكيـف تحـول
وجـوه كـان يعـروهـا أسـى وذبـول

(4)

أغنيهـا عـن الـوطن الـذى نبنيـه
بكـل صفوفنـا وبكـل مـا فـى حبنـا نبنيـه
وكيـف يـلاحق الأبنـاء
ويجمعهـم بسـاح الـدار بعـد التيـه
عـن الصـوت الجهيـر الكـاذب
أحـدثهـا
وعـن أحـلامنـا عـن جيلنـا الغـاضب
عـن الأدب الجـديـد الفـاعـل الثـاقـب
عـن الأقـزام
وكيـف يسبنـا الأقـزام
وكيـف تـرجهـم كلمـاتنـا الألغـام ...

ط. هـ.

خواطر حول الادب والفن بتونس *

بقلم : محمد فنطر

(2)

الحركة الادبية

يتبين لنا اذا على ضوء ما أسلفنا أن **قرطاجة** لم تخل من روح الفن بل كانت أبوابها مفتوحة أمام التيارات الفنية مصرية كانت أو يونانية كما كانت مطلع حركة أدبية قل من قدرها حق قدرها بل يذهب غالب المؤرخين الى جحدها . جحدوها لأن آثارها اندثرت واقتدوا فى ذلك بالذين جحدوا وجود الميكروب قبل اختراع المجهر . أجل إن نقائش التوفات لا تنبىء عن حياة أدبية لأنها لم تغرس فى أرض التوفات المقدسة لتحدثنا عن أدب البونيقيين بل أقيمت ذكرى لقرابين قدمت **لتانيت وبعل حمون** كتابتها تذكر اسم الذى قدم القربان واسم أبيه وجده وقد تشير أيضا الى مهنته ومكانته الاجتماعية .

لم يعترف المؤرخون بوجود أدب فنيقى قبل حفريات **أوغاريت** وهى مدينة **فينقية** توجد على شاطىء البحر فى البلاد **السورية** كانت مشعلا من مشاعل الادب والفن منذ الألف الثالثة قبل المسيح . زحفت عليها الشعوب البحرية فغدت أثرا بعد عين ومن بين ما أزيح عنه الغطاء فى خرائبها بنايات تحتوى على كتب عديدة نفيسة أوراقها من صلصال كالفخار : ألواح سطرت عليها صلوات وأشعار دينية كالتى تقص علينا خصاما حدث بين الاله **بعل** وإله **البحر يم** . وانتصر **بعل** فى النهاية . تلك أسطورة من تصنيف الكهنة وللأساطير الدينية مكانة عظيمة فى أدب القدماء مهما كانت سماؤهم كما تشهد بذلك إليادة هوميروس وكتب **هيزيود**(Hésiode) . جاءت أنقاض **أوغاريت** تفند قول الذين آمنوا بعجز الفينيقيين فى الحقل الادبى وتفصح عما جادت به قريحة الشاعر الفنيقى فى الألف الثانية قبل ميلاد **عيسى** .

كيف وصلتنا ثمار الحركة الادبية **بأوغاريت** وعفت آثار الكتب البونيقية ؟ ذلك أنها لم تسطر على ألواح خزفية بل رسمت على أوراق بردية والطفل المشوى أبقى على الدهر من البرديات وهى عرضة للنار ورطوبة الارض لا تبقى ولا تذر . ومن الجدارة أن نتساءل عن الوثائق التى تثبت أن أهل **قرطاجة** كانوا يخطون كتبهم على ورق البردى ؟ قلنا ذلك لا لأننا لم نجد ألواحا من طفل مشوى

(*) راجع « الفكر » ـ السنة 14 ـ العدد 5 ـ فيفرى 1969 .

فحسب بل لأننا نجد من بين ما أزيح عنه التراب فى قرطاجة خواتم من صلصال كانت تستخدم لختم المخطوطات البردية · ذكرها الاستاذ **جلبار بيكار** فى كتابه **عالم قرطاجة** ·

كل هذا لا يكفينا مؤونة لاثبات حركة أدبية فى دنيا البونيقيين لكن المؤرخ الأثرى لا يعتريه اليأس ولا يستسلم للقنوط تراه دائما يترقب بروز ما قد تنطوى عليه طبقات الارض فلعل حفريات المستقبل تمن علينا بما ينير طريقنا فى البحث عن الادب البونيقى وقد وصلتنا أصداء عنه فى كتب القدماء تحدثوا عن ذلك عرضا · يبدو أن بعض المؤرخين من يونان وروما قد استمدوا معلوماتهم من كتب بونيقية (*) ·

تذكر رسالة نسبت خطا الى **أرسطو** نصوصا بونيقية حددت زمن تأسيس **قرطاجة** · كما استشهد الشاعر الرومانى (Servius) بما أتى فى الكتب البونيقية عندما تغنى بمجازات **عليسة** · وذكر الشاعر (Refus Festus, Aviénus) الذى عاش فى القرن الرابع بعد المسيح أنه استند على حوليات بونيقية · وورد عن الفيلسوف اليونانى (Plutarque) ـ الذى عاش فى القرن الثانى بعد المسيح ـ أن مخطوطات بونيقية دست فى الارض ونجت من النار غداة الحرب البونيقية الثالثة · ومن الذين لمحوا للكتب البونيقية تصفحوها أو سمعوا حديثا عنها يجدر بنا أن نذكر **ابلين الاكبر** (Pline l'ancien) حيث قال : « **بعد سقوط قرطاجة اهدى (مجلس شيوخ روما) الكتب البونيقية الى الامراء الافارقة** » وأتى فى كتاب صنفه **صلوست** (Salluste) فى حرب **يغرطة** أن الامير الافريقى **يامبصال** (Hiempsal) قد رجع الى مصادر بونيقية لما قام ببحثه عن أصل الافارقة · كما استعان **يوبا الثانى** ـ وهو ملك افريقى عاش فى عهد الامبراطور **أوغيست** (Auguste) ـ بكتب البونيقيين عندما أراد البحث عن عيون نهر النيل · بلغنا هذا النبأ فى كتب **صولان** (Solin) **واميان مرسلان** (**) ·

(*) إن أسطورة **عليسة** نفسها اقتبسها المؤرخون القدامى من كتب بونيقية آمحت آثارها · يقول الاستاذ **بيكار** فى هذا الصدد : « إن أسطورة عليسة كما وردتنا عن المؤرخين والشعراء الرومان هى قصيد من القصائد الدينية البونيقية أدخلوا عليه تحويرا وتهذيبا » · الحياة اليومية فى قرطاجة أيام حنبعل ص 77 ·

(**) وجاء فى رسالة للأسقف (St augustin) ما يلى : « **إن الكتب البونيقية كانت تحتوى حسب قول علماء فطاحل على كثير من الاشياء الحسنة** »·قام

ترون كيف لم تخل قرطاجة من الحركة الادبية وذلك باعتـراف اليونـان والرومان أنفسهم ذكروا الكتب البونيقية ولعـل أشهـرها عنـدهم رسـالة ألفها **ماجون** فى الفلاحة ترجمت الى لغة الرومان ووصلتنا فقرات منها فى كتب (Varron) و (Columelle) الذى يقول : « **ينبغى الا يجهل الفلاح النصائح التى توجد بوفرة فى الكتب البونيقية الافـريقية ...** » يبـدو أن مـاجون قرأ الكتب اليونانية التى اعتنت بالفلاحة . كانت قرطـاجة وقتئـذ مفتوحة أبوابها لأدب اليونان وعلومهم وفلسفتهم ومن أشهر الذين تشبعوا بالفلسفة اليونانية يجدر بنا أن نذكر الفيلسوف **عزر بعل** الذى عاش فى القرن الثانى قبل المسيح يعرف أيضا باسم يونانى (Clitomaque) تتلمذ على الفيلسوف اليونانى (Carnéades) وتحدث عنه (Plutarque - Diogène Laërce) Etienne de Byzance - Papyrus d'Herculamum . ألف **عزر بعل** رسائل عديدة اعتمد عليها (Ciceron) عندما صنف رسالته المعروفة باسم (De natura Leorum) فى أصل الآلهة .

كانت قرطاجة اذا مركزا من مراكز الفلسفة ولم تشح بوجهها عن الحركات الفلسفية اليونانية فكانت حسب **يامبليك** (yamblique) تأوى بعض الذين اتخذوا فلسفة (Pythagore) مذهبا . كل ذلك يشير الى نشاط الحركة الادبية بقرطاجة بمعناها الواسع (*) .

ويبدو حسب الاستاذ **جلبار بكار** أن المعابد البونيقية كانت تقوم مقام المدارس يتعلم الاطفال فيها القراءة والكتابة كما يحفظون الاشعار والقوانين الدينية التى تكنها الاساطير الدينية والطقوس . يعسر علينا فى الحقيقة أن نتحـدث عن وسائل العلم وطرق التعليم بقرطاجة إذ تعوزنا المصادر فى هـذا الحقـل ولم تكن الثقافة والفن بقرطاجة وقفا على الرجال بل كانت أبوابهما مفتوحة أمام

خيملـك (Himilcon) **البونيقى برحلة عبر المحيط محتذيا شواطىء فرنسا** الحالية حتى قرب من جنوب برطانيا العظمى . كانت رحلة تبحث عن مناجم القصدير . وعند رجوعه الى أرض الوطن ألف رسالة ذكر فيها ما شاهده خلال رحلته الشهيرة ولمح (Pline) لتلك الرسالة البونيقية .

(*) وصلتنا اذا أضواء ضئيلة عن الادب وحركة التأليف فى قرطاجة . كيف يقول(St Gsell) : « **إن البونيقيين خلوا من فضول الفكر وقد صنفوا الكتب والرسائل فى الاساطير الدينية والتاريخ والجغرافيا وعلم الفلاحة** » . أجل لقد عفت آثار هاته المصنفات لكنها وجدت وما جـاء عنها فى النصـوص القديمة من شهادات تكفينا سلاحا لنقاوم الافكار التى تريد الحط من قيمة قرطاجة وتحاول نفى الحركة الادبية البونيقية .

النساء وقد أثبت ذلك المؤرخون الرومان إذ تحدثوا عن امرأة بونيقية تنتسب الى عائلة ماجدة كانت تسمى « **سفونيزبة** » عاشت أيام الحرب البونيقية الثانية ولعبت وقتئذ دورا سياسيا عظيما • وكان لها ما أدهش القدماء فى ميادين الادب والموسيقى •

شعت الحضارة البونيقية فى ديارنا الافريقية وعملت فى نفوس الافارقة فعلقوا بها وساهموا فى تشييدها وكانت الايدى البربرية تتصفح المؤلفات البونيقية • علقوا بها ولم تستطع الحضارة الرومانية نزعها من قلوبهم • لنا مجموعة من الوثائق الاثرية تبرهن بصفة لا يتطرقها الشك على ثبات اللغة البونيقية حتى القرن الثالث بعد المسيح ومن بين تلك الوثائق يجدر بى أن أذكر نقائش كتبت بالحروف البونيقية الجديدة كالتى وجدناها **بمكثر** وبمدينة **أوزفة** كما يجدر بى أن أذكر نقائش كتبت بحروف لاتينية أما اللغة فكانت بونيقية وقد أبرز الاثريون الايطاليون نقائش كثيرة من هذا النوع بالقطر **الليبى** الشقيق وقام بدراسة هاته النقائش الثمينة(Levy Della Vida) وهو من اكبر علماء اللغات السامية • وقد وجد الاستاذ **دى فيطا** (Divita) نقيشة فى **طرابلس** الغرب حروفها لاتينية ولغتها بونيقية ويبدو أنها تتحدث عن جندى لوبى انخرط فى الجيش الرومانى أيام الامبراطور كلود الثانى أى فى القرن الثالث بعد المسيح •

نعم ليس لنا نقائش تثبت وجود اللغة البونيقية بعد القرن الثالث ولكن المصادر الادبية تثبت استعمالها فى القرن الخامس والسادس بعد المسيح حسب ما ورد فى نصوص (St Augustin و Procope) • بقيت اذا لغة البونيقيين حية قرونا بعد تحطيم مدينتهم وهذه الحقيقة التاريخية تجعلنا نفكر فى مسألة أخرى قد يكون لها اتصال بثبات الحضارة البونيقية وهى مسألة دخول العرب الىارض الافارقة فيبدو أنالاسلام والعروبة وجدا أهلالبلاد متشبعين بالحضارة البونيقية فكانت لهما أحسن الاسس الامر الذى جعل الاسلاموالعربيةينتشران بسهولة خلال المغرب العربى الكبير • فكل من الحضارة البونيقية والحضارة العربية الاسلامية ينتمى الى التراث الشرقى السامى المشاع• فمن كان يحسن اللغة البونيقية لا يعسر عليه تعلم لغة العرب إذ تتحد اللغتان فى كثير من عناصرهما • ومن المرجع أن لغة المخاطبة عندنا تحتوى على كثير من الالفاظ التى قد ترجع الى لغة قرطاجة العتيقة ولو اتفقت والعناصر العربية فى تركيبها الحرفى • فلنأخذ مثالا فى هذا : إن لفظة « منصبة » تعنى فى العربية « الجهد والكد » • يقال عيشى ذو منصبة أى متعب • وتحتوى من جهة اخرى لغة المخاطبة عندنا على لفظة « منصبة » وتعنى الحجرة • يقال مثلا « ارمى عليه منصبة ، أى « ألق عليه حجرة » • فما هو أصل هاته الكلمة ؟ هل أتتنا عن

طريق العربية ؟ نجد فعلا فى لغة العرب كلمة نصيبة وجمعها نصائب وتعنى الحجارة التى تنصب حول الحوض ولكن لا وجود فى العربية للفظة منصبة فى معنى الحجرة ولكن اذا نظرنا الى النقائش البونيقية نرى أنها تحتوى على لفظة « منصبة » وتعنى الحجرة التى تقام ذكرى للمية نجد عليها اسمه وعمره الى غير ذلك · فمن المرجح اذا أن اللفظة البونيقية بقيت فى لغة المخاطبة عندنا وخاصة بمدن الساحل وقراه · ومهما يكن من أمر فالمشكلة عويصة لا يمكن البت فيها بصفة قطعية وختاما نرى أن الروح الفنية رفرفت فى سماء قرطاجة التى لم تخل من حياة أدبية وكثيرا ما لمحت لها النصوص اليونانية الرومانية · نعم لقد عفت آثارها لكن ذلك لا يعنى أنها لم تكن · بل كانت وأشعت فى ديارنا الافريقية وما زالت حياتنا تنطوى على عناصر الحضارة البونيقية ·

م· ف·

الفكر لا يشرف إلا إذا « حل » فى الواقع وتسلط عليه واقتحمه وجها لوجه وعالجه حتى فجر أسراره وراضه حتى أذعن وتمذهب · إلا أنه ـ وقد قام بدوره وغالب الواقع فغلبه ـ لا يفتر ولا يتعطل نشاطه بل هو يتجاوز المحدود ويتحدى المكانية والزمانية · فاذا بوجوه جديدة للواقع فلا يلبث الفكر أن تعود اليه صولته ويكون الخلق متجددا ·

محمد مزالى

(الفكر ـ السنة 2 ـ العدد 4 ـ 1957)

بكائية البحر

شعر : محمد الحبيب الزناد

15 نوفمبر 1968 . أمي ماتت . أوجعني موتها .
بقيت للبحر . كانت أمي تحب البحر . تحبني .

* * *

خرجت تتفقد الأحباب
كان البحر جميلا . ساخرا . كذاب
عقدت عليه أشواق الأهداب
ورمت اليه بما في العمر من أتعاب
أعجبها النخل على زيفه
كان النخل حزينا زائفا
والرمل وضوح سراب

* * *

أعطني من ملحك يا بحر
أعطني الأحزان
رش عيني ولا تخش
رشني برؤى العميان
وأسمعني ضجيج الألوان .
أعطني من ملحك يا بحر
شوش على الأوزان ! !

* * *

أفاقت على صياح الديك
أشارت للنور أن آدخل
فهذى الشبابيك
تراود الشمس كل صباح مغناج
تحب غضب الريح وتهريج الدجاج
وتأنس لبكا الأمواج

أعطنـي مـن ملحـك يـا بحـر ، أتعبنـي
آضـرب عـلى وجهـي وآسـدد أذنـي
علقنـي عـلى زرقتـك · لا تخـش يـا بحـر وآصلبنـي ·

* * *

خـرجت تلـوى عـلى فـرح جـذاب
لبسـت جلبـاب
أبيـض كالصبـح · لا حقـد فيـه
ولا لـون آغتـراب
خـرجت تـواجه زبـد المـوج وتمـويه السحـاب
مـا بيـن فتـح البـاب وغلـق البـاب
سنـوات شطـت وحبيـب غـاب

* * *

أعطنـي مـن ملحـك يـا بحـر
ملـح كلمـاتي
أعطنـي شعـرا لأمـواتي
مـاذا عـن الدنيـا يـا غـامض الألـوان
ويـا قـدرا عـاتي
مـاذا عـن الآتـي ·

* * *

جـالت عيناهـا فـي البحـر
فارتعـش البحـر لعينيهـا
علتـه الـزرقه
وبـدت عليـه علامـات العشـق المضنـي
كشـف البحـر عـن شـوق قـديم فـي خبايـاه
وعـن حـرقه ·

* * *

وكـانت تحـب العشـاق
وتعـرف مـا معنـى الأشـواق
ومـا معنـى أن يبكـي البحـر مـن الأعمـاق

* * *

فأخذتها الرعشه
ومشت خطوات
فارت فى صدرها الكلمات
قالت : أيا كلمات
تكورى دما فوارا
وآنفجرى فى المخ العطشان
كى يقبل حبا من هذا النوع
كى يقبل حب البحر الولهان ! !

* * *

ولكن البحر عاشق مجنون
البحر مريض يحب الأموات
البحر يعذب محبوبيه
يقتلهم · ويواصل رحلة التيه

* * *

أعطنى من ملحك يا بحر ·
عجل بايلامى ·
أنا لا شىء يا بحر
لا شىء فى بشر أيامى
فجرنى إذن يا بحر
وآبتر عامى ! !

* * *

ما كنت أعلم أن يوما يأتى إلى
ينقطع فيه الموال
أو أن قلبا يقف عن ضخ الأقوال
ينتهى فى قمة الحب وفى شرخ السؤال
شأن قصيد من الشعر
يقرؤه الناس ويطويه التاريخ المغتال

* * *

أعطنى من ملحك يا بحر
لا تسخر منى · لا تسخر
دغدغنى يا بحر إن تقدر

أو فاقبع تحت آلتواء الشمس يا بحر
كن جامدا وتحجر .

* * *

هذه الدنيا المقطوعة الأوصال
يقال أيام معلومه
هذه الدنيا ! !
هذه الدنيا ! !
أى علامة هذا الذى يهوى الحساب ؟ !
هذه الآجال
لكل منها كتاب
هذه الآجال ! !
هذه الآجال ! !
وما يعنى كتاب أحرفه ليست مفهومه ؟ !
نحن خلقنا من طين
جف الطين
أحرقته شمس النهار الموهومه
أو فرن الأيام المحمومه
فكنا أجساما تهوى النار
وأعصابا من الفخار

* * *

أعطنى من ملحك يا بحر
وعلمنى السكوت
أدبنى على قبول الهزء المقوت
علمنى التبسم فى وجه الحوت
فى وجه اللص المكبوت
يأخذ أيان شاء أفئدة البيوت .

* * *

أرنى يا بحر كيف أموت ! !

م. ح. ز.

امانى فتح الله

قصة بقلم : سالم ونيس

ظلام دامس وظلمة قاتمة ورياح هازجة ... وكلاب تنبح وفئران تتراقص فى السقف . واطفال يتشاخرون . دغدغ « فتح الله » زوجته المستلقية على ظهرها فما انتبهت . لقد اضناها التعب . المحراث . غسل الحوالى ... طهى الكسكسى ، دس الزوج رأسه فى شعرها لحظة ، لقد قضت المساء فى نقل الغبار . دغدغها ثانية فما استيقظت وما استدارت لقد ارهقها العمل . وضع يده على صدرها . إنه مبلل . بقرة حلوب . وكلبة ولادة ! انتصب فتح الله واقفا . ثم اشعل وقيدة واتجه نحو ابنائه فى الركن الايسر من «الـمـعـمَّـرَة».
صالح ابنه الاكبر خرج عن « الحسيرة » وانفرد وقد تلهوث فى البرنوس وحده وترك اخوته السبع يغطى احدهم الآخر . حاول فتح الله ان يتأمل فى هذه العلاليش الصغار . على دس رأسه بين رجْلَىْ خالد وسعيدة اتخذت من جبة رمضان غطاء وعنقت عروستها التى صنعتها لها اختها حذرية من القش والاطمار ... لقد حرقته الوقيدة . تألم لحظة وامتص اصبعيه لحظتين . ثم ابتسم واشعل عرفا آخر . وتأمل برأفة ... حذرية مسكت بشعر اختها الصبية ووضعت رجليها بين فَخْذَىْ مبروك . «الزَّقْتيَّة» التجأت اليه بعد أن تَسَبَّبَتْ له اليوم فى طريحة مشرحة مملحة . حذرية مسكت بخصلتى أختها الصبية . ابنته البكر . كأنها لا تريد مفارقتها . سوف لن تكون زوجة لعمار الأفطس . ابنته ما زالت صغيرة . وهى حاذقة وجميلة مثل « البركوسة الدرعاء » . سوف يعطيها لأحد « الرجال » . صَبَايْحِى.آجُودانْ قَارْدْ مُوبِيلْ . لو كان أبوك كالآخرين لكنت اليوم فى فراش وثير . عند « عرفى الحاج مسعود » . ولاصبحت ابنته او مثل ابنته . مثل صبيحة بنت سالم الوكواك او نبيهة بنت فاطمة الزرقاء ... أو ... ولكن أبوك رفض أن تمسحى لهم ... آى ... أحرقته الوقيدة ثانية . امتص اصبعيه ورجع الى زوجته ليغطيها يجب أن لا تبقى عَارِيَةً او شبه عَارِيَةً حتى فى الظلام . اصبعاه تُؤْلِمَانه . . وضعهما فى أنفه . وَمَخَطَ . .. نقص الالم . يجب أن يتأمل فى ابنائه قبل خروجه ... لعله لن يرجع ... من يدرى ؟ اشعل عرفا ثالثا واتجه نحو الفتيلة المعلقة فى مسمار . اشعلها وضع

الفتيلة فى كفه الايسر • نفخ على عرف الوقيدة فانطفأت معه الفتيلة • اشعل عرفا آخر وَقَرَّبَهُ مِنَ الْفتيلَة ثم التفت الى خلفه مُتَّبِعاً حَرَكَةَ يده اليمنى ونفخ على الوقيدة ببطء • سال القاز على يده اليسرى ، نقل الفتيلة الى يده اليمنى ومسح القـاز فى حزام زوجته المعلق فى «الرَّكَّاز» • واتجه نحو صالح • حاول أن يُقَرِّبَهُ من اخوته • «أيا عيِّش الْبَحْبُوح.مشْكْ وحدك • خلى اخوتك يِـدْفَـو معاك تحت جرتيلة ها البرنوس • قداش تحب روحك » كف صالح عن الشخير • حمـل فتح الله ابنه بصعـوبة وقـربه من اخـوته وقبله • إيه يا رجال هكا نحبك انْزَعْ صَبَاتكْ يَـاكَبْدِي !؟ ... أه الْكَرْطَابَـه مِـتْوَسِّـدْهَـا .» قبله ثانية • إنه ربح مائة فرنك فى بيع «الأُرْنِي والحَلْوزي» وتحصل على الرتبة الثانية فى الامتحان بعد ولد المعلم •• لَوْكَانَ مُوش الْمُدِير الْمَكِي رَاكْ سَارِحْ بالشّيَاه كيفْ خُوكْ . دَبِّرْتْهَا صَحَّهْ لِكْ ... آش مِشْ تَوَلِّي زَعْمَة ! زَعْمَة تجيب الشَّهَادَة على بهيمة المَلْولي . زعمة تولي طبيب وإلا مهندس . وإلاَّ زَعْمَه ... كرَاعْ الْبَهِيمْ مَا تِجِي زُكْرَهْ ».

نزع فتح الله لابنه حذاءه برفق فخرجت رائحة كريهة من رجليه • ضحك فتح الله ضحكة خفية وتمتم « كَسْكَسْلاَ بَرْجِـعْ لاَصْلاَ ... جِيتْ الْبُوكْ ! ثم حاول أن يغير رأس على «يَا مخَنَّنْ ! ارقد مليح بَـاشْ تنُوضْ بَكْرِي وَتَرُدْ بَالِكْ على شُوَيهاتْ سِيدِكْ المختار • راجل مليح يحبك ياسر ! بعد راسك على «كُرْعِين ها البوَّال» . • ثم اتجه الى الركن الآخر حيث تلهوثت أمـه فـوق السجـادة • « يا شمطـا ! يا سبب شقـاى ! اشبيك تلهـوثتى كِي السَّطُوشْ؟ .. قَدَّاشْ رِيتِي مِنْ خير ••• و ••• قداش ريتى من شر ••• آش بلْعْتْ ها لمغارة ؟••• حاول ان يغطيها بكبوط أبيـه الذى سرقه ــ رحمة الله عليه ــ من جنـدى المـانى بعد ان ذبحه وافتك له خمسة آلاف فرنك بِقَرْبْعُو • فتمتمت وهى حالمة : ما تَعِّبِتْ رُوحكْ يَعَيِّتْ وَلْدِي الحنان • وتغطت • متمتمة : ما تعبث روحك • مَا يْنَالِكْ ! قبل يدها النحيفة فى خشوع ورجع الى زوجته واطفأ القازة • وارتمى بجانبها فوق سرير صنعته زوجته من اعواد الطرفاء والكاليتوس وَالنْجِم • ثم غَطَّى نصفه الاسفل بالزاورة ووضع يديه تحت

رأسه • وبقى لحظة ينظر فى الظلام الى السقف • ويسطر خطته • كلاب المعمر « مِرْدِينو » رَايْحَاتَا • يتسلق الى السطح ويدخل للكورى ثم يخرج من شباك بيت العلفة الى السطح الآخر ويدخل غرفة ابنته « جِيلْدَا » المقعدة • تعطيه الفلوس الكل • بدون صياح « مردينو » وزوجته « فرانكا » فى تونس • سوف يخلص الجربى • يشترى لزوجته فوطه هلالية ولأمه فوطه ماركة تيس ••• من العال ••• ولابنه صالح « بِسْكِلاَتْ » وشكارة قمح وثلاث شكاير شعير • والملابس لابنائه وَسَتْزَغْرِدُ زَوْجَتُهُ عندما تَفْتَحُ قُفَّةَ السُّوق • حلوة شَامِيَّة. حَلْقُوم. سُكَر حشيشه خضرة • انزاس مثل الذى رآه فى قفة جاره الحاج ابراهيم • يا سلام ••• وسيشترى لنفسه كَبُّوساً «ماركة قِرْمِزْ» يجب عليه ألا يترك زوجته تعمل فى سانية عرفه ••• بل تتلهى بصغارها ••• وأمه لقد كبرت • يجب عليه ان يريحها من تمليس الكوانين • الدنيا باردة • يجب عليه أن يشترى لها النفه بزايد • ولكن يجب عليه ألا ينسى اصدقاءه ، ولعب الكارته فى الحانوت • كما فعل الحاج امحمد الذى كان « شَوَالِقِياً » والحاج عمار الذى عثر على جرة باللويز فانتفخ واصبح لا يكلم احدا ولم يعد يقابله فى لعب النوفى « دبرها صحة ليه » وهو كذلك سيصبح مثلهم ستعطيه « جيلدا بنت مردينو الشايط » كل الاموال • سيغير صوته • سيتنكر طبعا • وسرح به الخيال الى بناء دار وشراء سانية • وسرير «بالتوماتيك» يبَنن به عند النوم مثل سرير عرفه السابق • هكاإيبنْ.. اشْبيك تِتْهَزْ وتتْحَطْ مِشْ تْطَيِّح بِينَا السَّدَّهْ يَارَاجِلْ !..نِنْ بِينَّا.. آه يا مرا البرغوث ياسر !••• – « ارقد ! ارقد ! توْفِقْتْ بالبرغوث.. » فاقترب من زوجته وقبلها فوق أنفها • ثم على عنقها ثم مسح خدها بيده ووشوش فى اذنها « تِعبتِي بَرشه الْيوم . . فلم تجبه • رفع يده الى شفتيها فوجدهما مُنْفَرِجَتَيْن .مَسك شفتها السفلى بين اصبعيه وهمس فى اذنها ثانية « تَضْحِكِي يا زَعْبَانَة.بَاش تُوَلِّي تُرْقِدِي على سرير «بالْكَاوِتْشُو» فابعدته بهيجة موشوشة : يَزِّي أمك تسمع ••• يَزِّي توَّا الشناته ينوضو » !••• وضع يديه تحت رأسه ورجع ينظر الى السقف • « شىء بهيجة كيف النساوين الكل ••• كُلْهُمْ ما يْحِبُّوا كَانَ الهِنْدِي •• » لقد أراد أن يحدثها عن مشروعه الخطير • يجب أن تكون على علم ••• ولكنها لا تريد ••• يجب عليه أن ينجح • أن يحتاط • ان

يتشجع • سوف يرجع أمواله بعرق جبينه ••• اضعافا • بالقوة من الطليان القارس ••• دغدغ زوجته فما استيقظت • وقف منتصبا ثم فتح الباب بمهارة وتسلل الى الخارج ••• أبناؤه جياع والحياة صعبة • يجب اسعادهم • ابنه صالح سوف لن يبيع الحلوزى سوف لن يشتكى اليه من رفقائه الذين ينادونه « حلوزى » • سوف يشترى له دراجة ان المدرسة بعيدة • وابنه نحيف ••• على يجب عليه أن يريحه من شويهات سيده المختار ••• ويلتحق بالمدرسة • « تبارك الله من عام القيرة » الى الآن ••• سبع سنوات ••• « برونـو ولـد مـردينو » ربح السَّارْفَتِيكَا وهو كالتـرد • وكذلك « جوزيف ولد أَنْدرِيَـ.ـسْ كيـف يطَّلْغم تَقْوَاشْ عَلَيْهِجِن وكذلك عبد اللطيف ولد الحاج مبارك عندما دخل المدرسة كان مثل « الطَّابو » • صحه ليهم ••• أولادهم تخرج من بطون أمهاتهم مِتْشَقْفَهْ•••

دحرجته الرياح الى سفح الرقوبة • قد ادمت الصخـور أقـدامه • نسـي عَفَّـاسـه • ومزقت الاشواك تلابيب هنـدامه • « هى ممـزقة من قبل • آه ••• اشبينى هنـاى ••• ياوَلاَّ حَالْ .. أحَيِّتي رِجْلَيْ هـذه سـانية سى بنعيسى ••• لا حول ولا قوة الا بالله » ••• لقد اخطأ طريقه • أحس بدوار غريب • لم يخبـر زوجتـه • لم يـرد الالحـاح عليها • لم يرد ازعـاج ابنائه ••• ابنائه الصغار • وهم ينامون كالفراخ ••• جلس على صخرة وتلع رأسه فى كشابيته الْمُجَرْتَلَة التى أهْدَاها إليه الحاج بِالْقَاسِمْ بعد ان لبسها اربع سنوات ••• أغمض عينيه فى الظلام • اشباح تتزاحم أمام عينيه الْمُغَمَّضَتِيْن زوجتـه تتقلب كالسمكة التى تصارع الموت • تذكر ليلتهما الاولى عندما افترشا الاوراق النقدية التى تحصل عليها من « المارشى نوار » • وكيف انه افتكها من المولدى « بِالْبُونْتُو » تذكر أمـه • ورأى نفسـه • ومشروعه العظيم يتحقق • وهو يتبختر وفى يـده اليمنى « لقـاحى » بالفضه تعمل ستة وستين كيفا وفى اليسـرى السَّابَرْ يُورْ بُوقْلاَّ ••• يا عينى • والجبة كيف متاع الحاج امحمد ••• والبرنوس يُوزِنْ عِشْرِين كِيلُو ••• والبلغة تقزقز • والسطوش بالسلسلة ••• والمنقالة فى الجيب مثل منقالة الحاج عبد الله الَّتِيسلَّمَهَا لَهُ الالمانى مع بالة كوارت بعد ان خبأه اسبوعين • والمشية كيف «الحاج الْمُكَنَّز»• يـا سـلام ••• هَكَّا••• آى ! لقد زلق فسقط مغشيا عليه •

* * *

استيقظ فتح الله اثر صياح القوم ونباح الكلاب •

المولدى : هَاوْ هنَاي • تحت صخرة سيدى بلهويشات !•••
ابراهيم : يا ستار استر •
سالم : هَا ضَوَىْ ... هَزَّا البارح •
أمـه :الثاى لله يا ثيدى يلهويثات !••• الثاي لله هاثا لَذْبَال .

أم الخير وقد بصقت على وجهه : فتح الله ••• ها فتح الله ! واش بيك • واش طرالك • بسم الله ارّحمان ارحيم ••• يا ستار استر •

سالم ملتفتا الى أمه : جيبى البخور ؟ هاى بيت ناجى ثريبة !•••
أمه مهرولة مولولة : هاح بينى هاح !••• يا حليلى على كبيدى •••
زوجته لاهثة : الشـاى لله يـا سيـدى بولهويشـات ••• الشاى لله • نعقد فيك خيط حزامى •• ونذبحلك سردوك فحل •

رمضانة زوجة سالم : سردوك شوى عليه ها بهيجة خويتى !•

فرك فتح الله عينيه ثم أخذ يتأمل جيرانه ••• اغتاظ لما رأى زوجته عارية أمام المولدى • فنظر اليها نظـرة حَنَق وَحَزْرَة وعِنْدئذ صـاح خليفـة : ابْعُدوعَليهِ . ابْعُدوعَليه . خَلُّوهيَسْتَرَاحْ ...عينيه زَارِقين.الراجل مملوك..»

ابتعد عنه القوم وهم يتأملون فيه بكل رهبة ويراقبون حركاته ، ونظراته برأفة فضولية بدوية • وصلت أمه لاهثة وقربت منه الكانون متمتمة : « واثبيك ها كبدى ها مضنونى • يا ثتار اثتر ! ها ثيـدى بلهويثـات راهو وليـدك • ها راعى الراثوبة • الثاى لله ها طاهر الثروال • الثاى لله يا غربى • بثم الله الرحمان الرحيم ••• » فرك عينيه ثانية ثم حاول ان يقف البرد مُسَقِّعْ ورجليهِ كِفْشِتْ • وبعد محاولات • انتصب واقفا • ثم اتجه نحو بيته والقوم يتبعونه موشوشين • صامتين • ثم التفت اليهم فجأة ولا يدرى لماذا التفت • رأى المولدى فى المقدمة فصاح : «وآشْبِيكُمْ آخى فى زَنَازَهْ . أيَّا رَوْحُو» والتفت الى زوجتـه وصعـق فى وجهـا : أمـن أمتيـن وَلِّيتِى تـقَابـلى الرجاجيل » ••• « أيَّا مولدى بَرَّا اخدم عَلَى أيَامِكْ وَهِزْ جَمَاعْتِك صاح المولـدى : « الشاى لله ••• الـراجل استلبس • ابعـدو عليه » دخل « المعمـرة » وقعمز على الحجرة التى غلفتها أمه « مبروكـة الثرمـاء • لتتخذها مخدة ليلا وكرسيا نَهَاراً • أخذ يفكر جِيلْدَا مِنْعَتْ صَحَّة ليهَا ••• انشاء الله نهار السبت القادم » ••• اقتربت منه ابنته سعيـدة • فتأمل من رجليها العـاريتين ••• «بابا مَاكِشْ تِخْدِمْ الْيَوْمْ • تذكـر أن عرْفَهيترقبه والبغلة مُحَرَّجَة ... أحَسَّ بِألمٍ فى أقْدَامِهِ .

س. و.

كليـة الآداب

صهيل جواد أخضر

شعر : سميـر العيـادي

مـا قبـل الـرؤيـا :

خطـواتي تئـن
تتكسـر والليل ماله عمـر
تجرحـه السنة الدموع . فيبكي
تنهمـر والليل ماله عمـر
تلملمه صخرة بركان جاف . فيشف
ظمآن مقهورا كسماء
صاخبـة دعجـاء
عالية عميقة في الخطإ
تلهو بهـا الرياح وتستخـف
رياح القفر . والوحشة . والظمإ

خطواتي تتكسر تنهمر تئـن
وهديل حنيني
فوق شفـرة العدم الأغبـر
خطواتي ـ يالها ! ـ تئـن
فوق ضجيج الفراغ المائـع الاحمر
خطـواتي تدفعني . ترفعني . وترميني
فـوق شرارات التراب المجنون
وهديل حنيـني
يسيل ولا يـدري أن
في عيـني ذبولا وبريقـا
وعناكـب أزلية تشهـق شهيقا
تغلي غليانا فضيـا
يسيل ولا يدري أن
خطـواتي تئـن
وفي وجهي هيكل يرقص على الخطإ
فـوق براكين شفتيـا

هيكل القفر • والوحشة • والظمإ

أنا – ياليل – يا مروع الأفاعى –
أتيه مع الريح والفحيح
فلا يصرخ القلب بين جنبى
أنا – ياليل بين جنبى قلب
تهزه آهة أمل ذابل مجفف
والحاح رغبه • وخيبه
تهزه خدعة النور المصفف
فى بؤبؤى
ولا يصرخ بين جنبى شى
فيهبط وهج انتحارى
فى بحيرة سحرية أفقية على الخطإ
فوق رمال نافرة تتأفف
تحت سماء القفر • والوحشة • والظمإ
أسعى الى الماء كالموت كالحلزون
أسعى الى البعد
الى البعد الهامس
الى البعد الهامس فى حلقى المصهود
أسعى الى بسمة تنثرها فقاعة الليل
الى بسمات
فى لظى رموشى كلظى رموشى
الى نقرة سمراء تغزلها فقاعة الليل
الى نقرات
ودف شبابى المفقود
يذوب فى هزاته على الخطإ
يجرح الليل
فتكون الألوان
وتكون الألوان
فى شباب القفر • والوحشة • والظمإ

اللحن الأول :

همهست الروح – يا حبيبتى – فكنت هنا
أنا ملك القدسية وخيطك الفضى

وقوسك المفتونة تمضغ الحرير فى جلال وجنتيك
وتفتق تيهى المكبوت والتياعى الشبقى
وعينـاك
رعشة بسعار رمـوشى
وبلور تهشمـه وتطحنه بوارق الكمنجه
فى رقة صدرى المرمى
من فوق رأسى الى أحر الاعماق
عينـاك
ومضـة تقف حيـرى
حيـرى
حيـرى
بين طيات النغم الدفاق
وزلقة المحـال
عيناك ضيـاع يشع وحب يلهـث
بدمائي ــ أحقيقـة ؟
أم دمائى تجرى غليانا وخيال

هسهست الروح فكنت ــ يا حبيبتى ــ أمامى
شمسى البلجـاء تضمنى
لا ٠ بل ليتهـا !
ليتهـا بللـت رأسي وسودت أسنانى
بابتسامة كالسنبـلة
كالشوكة ، فى سلك موصلى قدسى أخضر
شمسى البلجاء ــ يا حبيبتى شمس إله ؟
أم إلـه ؟ أم شمسك أنت ،
أم أنت إلـه أخضر
أم محـال
بل حقيقـة ٠ كذب من قال هذا خيال

هسهست الروح فكنت نحوى ــ يا حبيبتى ــ
همسة تتمطط فى نظراتى
همسات
تخترق الصدر ٠ تلسع العين ترزم الرزيز
ترقص على الزبد وتلهـو

حتى تغرقها لعجة الشعر واللحن
فترسب • كالجهل • كالقناعة
ثم على الاقمار تطفو
تخبر العشق والعاشق عنى
وعنك ؟ ليتها !
يا إلاهى الأخضر هل هذا محال ؟
وريقاتى ترفرف على قفزاتى
بها قد قتلت الخيال

هسهست الروح فكنت الى
يدك – يا صغيرتى – بين قضبان
عنفنا
يدك جرحت قلبى – يا صغيرتى –
فلهثنا وسكتنا نبحث عن
حتفنا
واضطجعنا الرمال وتحت البحار انسربنا
تعرينا فى صلاتنا وغبنا
فما بحث الناس عنا
وذابوا فى عشق ربهم
وذبنا معا • بين أشعة أنفاسك ذبنا •
يا الاهى الأخضر • حتى صرخنا
فراقك محال ضحية محال
ونومى ونومك من ضحايا الخيال
نومى
ولانومك – معذبتى –
من ضحايا الخيال

ليلة الخليج :

شاطئك – يا بحر – لسان أخرس
وليل – يا بحر ! يا بحر ! – فوهة مدفع
لها يصلى ألف امام وراهب
شاطئك – ياوعيى ! – يحط ويرفع
جسدى ولسعات الرمال
حرارة الثلوج تسيل فى تقاسيمه

وشارات المطر
تكــرع منها ضلوعى وتجرع
حتى يغمض الفنــار
رطوبة جراثيمه
فتدق الطبول ٠ وتتوهج لها مواويلى
وتصرخ بها أنفاسى فى أمواج ترتيـلى
المنهــار
« افتحوها لى مدينة بيضــاء
بين الجبل والشاطىء مدينة بيضاء
علمونى الحس الشمس بدمى
أفتحــوا أبوابكـم
جرحــت معصمــى
جرحــت معصــمى
جرحــت معصــمى
وأذابت هزات صدرى »

ويضيع نــدائى
وحراس المدينة فى نعــاس
ونعاس المدينة فى جفونك
كلما أردتك
أنت تنامــين
وأنا لا أنام كلما أردتك
عنك ـ معذبتى ـ أذب الشكوك
ياتفسيرا يغمض لحياتى
ليس لى منك رحمة أو هــروب
هل تسمعــين غليانى المجــذوب
عــلى متــن قنبلــه
تلك أغنيتى تلك ماهيتى
تلك أوزانى صاغها كيانى
تلك غنائيــتى
أحبــــك
قلتهــا نعــم أحبــك
قلتها نعم تجرأت
تلك أكثر من أغنيتى

من أوزانى
مــن كيانى
من غنائيــتى
مــنى
من حدود عالمى المغصــوب

شاطئــك ــ يا بحــر ــ يطردنى
تعــذب بعــذابى
بجرحــى المسكــاب
تورد جرحه المصلــوب

الدقــة الأخيــرة :
فى موعدنــا
أنظــر اليك يا حبيبــتى وتنظريــن
لا أفهــم همســك
أنظــر اليك يا حبيبــتى وتسكتــين
لا أفهــم صمتــك
لا ٠
استحالت صلاتى ياحبيبتى
نزعتــنى يا حبيبتى يا خســوف أيامى
بقيت جسما على الرمال ٠ أصفــر
نزعتــنى ٠ يا كبرياء ٠ ياخسوف أيامى وليالى
بقيت كومة من أصابع الفنار
يبلعنى الليل والثلج
وجسمى بلا دثار

فقــدت ــ يا جوادى ــ عينى
عــلى شاطىء فضــى
فقــدت كــل شى
فقــدت ــ ياجوادى ــ دمــى
ضمخــت به حنيــنى
سكبتــه فى شرايــين مجنــون
فى شراييــنى
فقدت ــ يا جوادى ــ عظامى
رصعت بهــا نسيانى

طحنتهـا بين أسنان الشيطـان
بـين أسنـانى

فقـدت ـ ياجوادى ـ فقدتنى
عبـر ركضك تهت وتجاهلـت أننى
فقـدت ـ يا جـوادى ـ فقدتنى
غدا ـ يا جوادى ـ تنبع من قبرى الأشجار
تشهـق الثمـار
يسقـط التفـاح
يتدحرج على الشاطىء مع الصباح
فأقضمه ـ يـا جوادى ـ
وانسـنى

س ـ ع

قال رابندرانات طاغور :

« لماذا انطفأ المصباح ؟ ... لقد أحطته بردائى لأجعله فى مأمن من الريح . لهذا انطفأ المصباح ...

هذا هو الخوف ...

لماذا ذبلت الوردة ؟ ... لقد ضممتها الى صدرى فى لهفة وقلق . لهذا ذبلت الوردة ...

هذا هو خداع الحب ...

لماذا جف النهـر ؟ ... لقد أقمت حيـاله سـدا ليخـدمنى أنـا وحدى ... لهذا جف النهر ...

هذه هى الأنانية ...

لماذا انكسر وتر العود ؟ ... لأنى أردت أرغامه على إعطاء نبـرة عالية ... لهذا انكسر وتر العود ...

هذه هى الكبرياء ! »

البحث في الجمال

بقلم : نور الدين بن بلقاسم

قد يبدو للقارىء لاول مرة أن مثل هذه المواضيع ليس لها علاقة بواقع الحياة الحق ٠٠ وليس لها مردود بالنسبة للحياة الاجتماعية ، الا انني اقتنعت فيما بيني وبين نفسي ، ان للجمال ومفاهيمه دورا في الحياة الاجتماعية ٠٠٠ فلا شيء يهذب الذوق كالشعور بالجمال ، كما أنه لاشيء يجعل قلب الانسان متفتحا للحياة مثل الشعور الجمالي ، الذي يدفعه الى الخلق والابداع والتعلق بالحيــــاة ٠

لذلك سعى الانسان منذ أقدم العصور الى توفيره ـ خاصة ـ في مجال الفن والأدب ٠ الا انه مع ذلك كانت مفاهيم الجمال ومازالت ، محل اختلاف بين شخص وآخر ، وبين شعب وشعب ، وهذا الاختلاف راجع الى اختلاف العادات وتفاوت الثقافــات ٠

والواقع أن الجمال لا يقتصر عن الالوان او ما يشابهها ، كما هو متعارف عند الأغلبية ، فقد يوحى لنا جلال الحياة وهيبتها بشعور جمالي ، وقد يوعز لنا خشوع الموت وهيبته احساسا بالجمال ٠ ولكن الاشياء التي نخاف منها ، والتي لم نتعود بها ، هي التي نراها مجردة من الجمال ، أو أقل من الاشياء الاخرى جمالا ، فبقدر ما توحيه لنا من خوف ، أو من ألم داخلي ، يتضاءل شعورنا بالجمال نحوها (الاشياء) كالذي توحيه لنا الحرب ورؤية الدماء ٠

اننا نهرب من الموت فلا نرى فيه جمالا ، لانه سيبعدنا عن بهاء الحيــاة وروعتها ٠٠٠ ولو كان الموت رسولا يحمل الانسان **مباشرة** الى عالم جميل بدون ألم ، لحلم به الانسان طول حياته ٠ فشعور الخوف والرهبة هو الذي يطمس في أعماقنا الشعور بالجمال ، وكذلك الحال عند الشعور بالألم ٠٠٠ وليس من الشروط اللازمة أن ترى الشيء لانه جميل ، فقد تسير بك قدماك الى خرائب قرطاج ، وتقف حيالها متأملا ، فتشعر بعظمة وهيبة ، وتحس بعواطف قوية تجتاح حناياك ، فليست تلك العظمة التي أحسست بها وتلك الهيبة التي خيمت عليك هي ناتجة عن الجمال الكامن في تلك الخرائب ٠ انما هي نتيجة عظمة التاريخ التي بدت أمامك وأنت واقف في ذلك المكان ، ونتيجة تفكيرك في المقدار الحضاري الذي وصل اليه القرطاجيون ٠

فعظمة الشيء تدفعنا لان نشعر بجماله ، ومن ثم كان قسم كبير من شعورنا الجمالى له علاقة بذكرياتنا العظيمة. فقد يكون للانسان تحفة لها علاقة بموقف من مواقف حياته، أو صورة تذكره بفترة من فترات شبابه، فانك لو أتيت لهذا الشخص بتمثال احسن من تمثاله ، وصورة اجمل من صورته ، فأنه يبقى فى قرارة نفسه غير معترف بجمال غير جمال صورته ، وحسن غير حسن تمثاله . ومن هنا كانت الاشياء التى تخاطبنا بالاحساس أكثر من غيرها ، هى التى نرى فيها جمالا أكثر من الأشياء الأخرى . وفى هذا المضمار يقول جاريت فيلسوف الجمال بجامعة أكسفورد :

« ان الاشياء تكون جميلة بقدر ما تخاطب بالاحساس القلب والعاطفة » وهذا القول يبين لنا أهمية الاحساس ، أو بالاحرى الذوق السليم لمعرفة القيمة الجمالية فى الاشياء . اذ بتفاوت الاحساس او سلامة الذوق عند الناس ، يكون تفاوتهم فى معرفة قيم الجمال ، واختلاف نظرتهم للكون والحياة من حيث التعمق أو السطحية . ومن هنا كان الذوق هو الاساس فى تنمية الحساسية الجمالية ، فهو ان صح التعبير ميزان الفن ، به يميز الفنان بين سمو الأثر الفنى وضعته .

وما دام الذوق اساسيا فى عالم الجمال ، وهو يختلف ، بمقدار من الضعف أو القوة بين شخص وآخر ، كان من اللازم أمام هذا الاختلاف ، أن تكون هناك علاقة مشتركة ، أو معيار جمالى مشترك ، تقف على صعيده الأذواق المتباينة ، كى لا تختلف فى أهمية الأثر الفنى وفى هذا المعنى يقول سقراط : « لا يمكن أن نسمى أشياء بعينها من عمل أو صنع الانسان جميلة ، فلا بد ان تكون بين الاشياء الجميلة صفة مشتركة ، أو علاقة مشتركة بها يكون من الممكن تعريفها »

ولعمرى فان العلاقة المشتركة التى تكلم عنها سقراط ، والتى من شأنها أن تربط بين الاشياء الجميلة لهى ثابتة ثبوت الآثار الفنية نفسها ، وسنتكلم عن هذه العلاقة فى الابان ، ومن ميزاتها أنها لا تدرك بالارقام ، بل يعرفها الفنان ويلمسها لاول وهلة « بالاحساس » وسنوضح كيفية معرفة العلاقة الجمالية ولمسها بالحس :

فأنت اذا شاهدت تمثيلية البخيل (لموليار) أو هملت (لشكسبير) وقرأت آثار طاغور وفلسفة نيتشه ، وقصص نجيب محفوظ ، أو شاهدت صورة أم وطفلها (لبيكاسو) وصورة وداع انطوان لكيلوبترا (لليوبولو) ، أو وقفت أمام تمثال أخناتون وزوجته نفر تيتى ، أو تمثال الاه البحار اليونانى،

أو سمعت قطعة موسيقية من سنفونيات بيتهوفن (I) فأنت ـ ولا شك ـ واجد نفسك أمام هذه الانواع المختلفة من الفنـون : الادب والنحت والتمثيـل والموسيقى ، تحس بمعنى خاص ، وتشعر بشعور لايشابه شعورك العـادى ، هذا الاحساس يلتهب فى قلبك ، ويملا حناياك روعة كلما وقفت حيال نوع من انواع الفنون السابقة٠وتلك هى العلاقة الجمالية المشتركة بين الفنون الاصيلة٠ **أى أنها ذلك الاحساس والانفعال الذى انتاب نفس الفنان وملأها ايحاءات فنية اثناء خلقه لاثره الفنى ، هذا الايحاء وهذا الانفعال ينتابان نفسك أنت اثناء التأمل من ذلك الأثر** (2) وليس من شك فى أن الجانب الفنى هو الذى يثيـر فينا الاحساس ٠٠٠ **ومن ثم يكون الشىء جميلا بقدر تأثيره فينا** ٠ الا أن هذه العلاقة الفنية التى تعتمد على **التأثير فى الجمهور** ، هى علاقة مطلقـة غيـر مقيدة بشروط مثل العلاقات الحسابية ٠٠٠ هذا حسب رأيى ما يهدف اليه سقراط من ذكره للصفة المشتركة التى تربط بين الاشياء الجميلة ٠

أما جاريت فيلسوف ايطاليا فى علم الجمال ، فهو يرى ان الجمال لا يقـاس بالتعقيد كالذى نجده فى الفن الرمزى ، ولابالانسجام والتناسـق كالـذى نجده فى الفن التعبيرى ، انما الجمال كالانسام يهب متى شاء ، وفـى هـذا يقول : « لا يقاس جمال الاشياء بقدر ما فيها من تعقيد او تسلسل منظم ، بل إن انسام الجمال تهب رفافة حيثما تشاء » ٠

وهنا يبد وجه الاختلاف بين ما قاله سقراط وما قاله جاريت ، اذ أن الاول يرى ان الاشياء لاتكون جميلة الا اذا وجدت بينها علاقة جمالية مشتركة ، يمكن للانسان تفسيرها ، بينما يرى الثانى أن جمال الأشياء مطلق لا يمكن أن يقاس

ويبدو من العسير فى هذا المجال التوفيق بين الرأيين للتباعد بينهما ، الا أننى أرى أن الفنان اذا كان مجبرا على ايجاد علاقة مشتركة فيما ينتجه ، كما نكون نحن مجبرين على ايجاد نتيجة اوحل لمشكلة حسابية مثلا ، فان هذا من الطبيعى ان يقيد مواهب الخلق فيه ، ويحدد من ابداعه ٠ ولعل جاريت يهدف

(I) اخترت هاته الامثلة المختلفة من مشاهير الفنانين لأنـى اعتقد ان الفـن الاصيل هو الذى لايختلف فيه النقاد ، بل تتحد على صعيده اذواقهـم مهما تباعدت ، أما ما يحشر حشرا من فن مبتذل وادب رخيص ، فى زمرة الفن ، فذلك الذى يكون موضع اختلاف من ناحية قيمه الجمالية والفنية ٠

(2) أقصـد بالاحساس أو الانفعـال ذلـك الاحسـاس الذى يثيـره الأثـر الفنى فى نفس المتأمل ، وهو يختلف عن الانفعال الذى تثيـره مواقـف عديدة فى الحياة العاديـة ٠

بقوله السابق الى ان الفنان اذا تقيد بالعلاقات الفنية المحددة ، سوف لن يخلق ويبدع كما يخلق ويبدع عندما يكون حرا .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الجمال ميدان شاسع لا يمكن للباحث ان يتقيد فيه حسب قواعد مضبوطة ، وليس من الموضوعية فى شيء أن يوجه الفنان توجيها معينا اثناء خلقه لأثره الفنى كى يوفر فيه الجاذبية الجمالية ، وذلك لأن الفنان حر ، يخلق أثره الفنى كما يشاء ... بشرط ان تتوفر صفة التأثير فى انتاجه .

وقد يقول قائل أن التأثير الجمالى يمكن ان يوجد فى تناسق الاعضاء وآمتلاء الاجسام كالذى يوجد فى فن قدماء اليونان ، أو فى ثبوت الجأش والنظر البعيد المملوء بحقيقة البعث والخلود ، كالذى يوجد فى فن مصر القديمة ، أو فى الظلال والاضواء ، واتباع قواعد المنظور كالذى يوجد فى الفن الاروبى فى القرن التاسع عشر . لكن الواقع غير هذا . فآمتلاء الاجسام والتناسق بين الاعضاء فى النحت ، والظلال والاضواء فى فن التصوير لا يمكن اعتبارها كعلاقات ثابتة تربط بين الفنون حتى نصفها بالجمال ، لأن هذه الصفات هى الهيكل الاساسى فى الاثر الفنى ، وبدونها لا يكون ، اذ لو ما الظل والضوء فى فن التصوير مثلا ، لما استطاع الفنان أن يظهر أقسام الجسم واضحة ، فهنا يكون الفنان مجبرا لاستعمال الظل والضوء فى لوحاته ومن ثم سيكون الجمال الذى يوفره فى الاجسام التى يصورها مجبرا على ايجاده أيضا ، وحسب ما سبق فى قول الفيلسوف جاريت ان الجمال مطلق لا يتقيد بشروط ، ولذلك يكون هذا القول خلفا . فهذه الصفات الفنية اذن هى من الشروط اللازمة حتى يسمى الفن فنا ، وليست من العلاقات التى نجعلها معيارا لنسب الجمال فى الفنون .

ن - ب
طالب بكلية الآداب

كبرياء

شعر : رياض المرزوقى

بشاعتك التى تزرى بصبرى
تفيد بأننى ضيعت عمرى
دفنت مطامحى ، ودفنت قلبى
ورحت أقابل الدنيا بصدرى

* * *

ولى قلب جديد يا فتاتى
أنا قلبى وليد الكبرياء
فما يقضى من الحب البرايا
ولست وحيدة بين النساء

* * *

أنا لو شئت أشعل فيك نارى
وأنفخ فى اللهيب دماء قلبى
ولكنى أضن بذكرياتى
وبالحب الذى ما عاد حبى

* * *

فلا تخشى فلم أكرهك يوما
ولست جديرة حتى بحقدى
طرحتك فوق صخرة كبريائى
وعبدت الطريق ، طريق مجدى

* * *

عزائى أننى أحببت حلما
تغذى من عروقى ، من عيونى
سيبقى خالدا فى كل قلب
يخبأ تحت آمال الجفون

موت الظنون القديمة

قصة بقلم : علي الشملي

الى رجل الساحل فـى اقتناعـه
بعد عناده ٠٠٠ الى مواطن الجنوب فى
اقترابه من الواقع بعد ابتعـاده ٠ الى
انسان الشمال فى اعتقاده واجتهـاده

كان لا يسمع من كل ما يدور حوله من ضجيج أو صراخ سوى أزيز المحركات المنطلق من وسط الغابة الصغيرة ، وكان يتجاهل تناثر الغبار المتطاير من هنا وهناك على اجزاء جسمه حتى غدا جزءا من هذه الارض المغبرة ٠٠٠ ظل جامدا يسمع من حين لآخر هزات عنيفة يعقبهـا سقوط فلا يرفع رأسه لانه يعلم أن شجرة زيتون اخرى ذهبت ضحية ـ الغولة ـ كما كان يسميها ٠٠٠ كانـت الاشجار تتساقط الواحدة تلو الاخرى والضجيج يزداد شيئا فشيئا تحدثـه العربات المترددة على قطع الغصون التى جزأها الحطابون تنقلهـا الى الضفـة الاخرى من الغابة حيث تباع أو تحفـظ ٠٠٠

وكانت عينـا ابراهيم تبعث الى الارض من حين لحين دموعا كسيرة ترسم على الارض شكل دائرة مضطربة سرعان ما يدفنها الغبار المتراكم ٠٠٠

ومر به جاره سعيد والفرحة المرتسمة فى عمق عينيه تنطلق مع كلماته التى وجهها له قائلا ٠٠٠

ـ مالك واجما يا ابراهيم ، ألا تمضى معى لترى ما اذا كان بيعى لمجموعة من الاخشاب مناسبـا ٠٠٠ مالك صامتا ٠٠٠

فاكتفى بالنظر اليه مشيرا الى الغولة الهادرة ٠٠٠

ـ انها اشجار هرمت ولم تعد صالحة لكى تحتل كل هذه المساحة الكبرى من الارض ٠٠٠ ألا تعلـم انها ستعوض بأخرى مثمرة ٠٠٠

فنهض ابراهيم فجأة وضرب بيديه فى الفضاء وصـاح :
ـ انت ايضا توافق على أن تعوض بالطرقات ٠٠٠ أو بشجيرات تافهـة ٠٠ انها زياتين جدودنا الاصيلة العريقة ٠٠٠

فانسل سعيد متمتما : الامر ليس وقفا لرضائي وانما هو رهين المنطق ٠٠٠

* * *

ارتمى ابراهيم على حافة الفراش غير عابيء بزوجته التى انعزلت فى ركن من الغرفة ٠

والتفت الى زوجتـه صامتا ثم قال لها بصوت مبهـم :

ـ لقد حلت مع حلولك هنا نكبة جديدة عوضت رفاهية حياتى القديمة ٠٠٠
ـ أما زلت تؤمن بخرافة كهذه٠٠٠ما أظنهم يريدون بنا سوءا ولا مضرة٠٠

فاجابها متضاحكـا ٠٠٠

ـ نعـم انهـم يريدون بنا كل خير ٠٠٠ آوه اسكتى عـنى ٠٠٠ انـك امرأة تافهة ٠٠٠ ياله من جو ثقيل ، أكاد اختنق ، أو أخنق غيرى ٠٠٠ اننى لن أوافق ٠ وليذهبوا الى الشيطان ٠٠٠

ـ ألا تتناول طعامـك قبل الخـروج ؟!

ـ أمر يهمـنى ، فلا تهتم بما يهمنى ٠٠٠

* * *

كان يسير مبعثر الخطوات مضطرب الخواطر حين بلغته هتافات غامضة من قاعة تفطن الى انه يمر أمامها ، فتردد فى الدخول ثم اندفع ليتطلع الى ما يدور هناك وما يبعث على هذا التصفيق والصراخ ٠٠٠ وجمد فى مكانه حين التقى به منتصبا هناك ٠٠٠ نعم انه ذاك الذى مازال يعتبره مصدر نكبته ٠٠٠ آمـر الغولة الملعونة بالعبث وسط الزياتين ٠٠٠ انه هـو الباعث عـلى هذا الهتاف وهو راسم هذه الفرحة الغريبة على وجوه الحاضرين ، وتجـول بنظـره فى صفوف المنتصبين فاذا به يعرفهم كلهم تقريبا ، كلهم ينتسبون الى خدمة الارض واكثرهم زغرد لضجيج الغولة وصفق لمحاولاتها فى العبث كما كان يقول ٠٠٠

وتراجع الىالوراء وتسلل عائدا أدراجه من حيث أتى،لكن نداء منهناك أوقفه أنت ايها الهارب ! كان فعلا هاربا لكنه التفت فاذا به يشير اليه بيده ليتقدم٠٠ وتقدم نحو ذاك الذى دعاه ، ذاك الذى يعتبره مصدر نكبته بدعوه ٠٠ ومضى اليه فأمره بالجلوس والاستماع ٠٠٠ فجلس حيث وجد مقعدا شاغرا فى الصف الامامى لا يعلم أطال به الوقت أم قصر ٠٠٠

وكانت فرصة للحوار المباشر بعد انتهاء الخطاب ، وكانت أسئلة وأجوبة وامثلـة ٠٠٠ ثم كان تردد وامتناع من البعض وخوف واقتناع ثم اتفاق ورضى من الجميع وهو جزء من الجميع شاء هذا أم كره ٠٠٠

وخرج شاعرا بشىء فى افكاره يتحرك يعلن أن لا اعتراض يفيد ، وأحس بجمود ينقشع وبلعنة تتردد على لسانه ، ولكنه يستغفر ويمضى فى طـريقه يحاسب نفسه ويفكر ٠٠٠

ومضت الايام وتكاثرت الاستدعاءات له ولغيره ، فتكررت فـرص اللقـاء بالمسؤولين فى دور الشعب وغيرها من القاعات رغم أن أوصال ابراهيم ظلت ترتجف من حين لآخر وتغرقه فى تأمل بعيد وتفكير قاص كلما فكر فى الخوف الذى قالوا له عنه انه بلا مبرر ولن تكون له نتيجة بارزة وقالوا له انهم منحوه التفكير فى سبيل ازدهار مستقبله فليمنحهم الثقة والاطمئنان وليست العبرة فى غير العمل المفيد ٠٠

* * *

وتحركت افكاره التى أراد لها الجمود فاذا بها تقبل على الـواقع بـواقعية مجردة ، ولم يجد بدا من الاقتناع يغمره أمل طفيـف ٠٠٠ وصـار يشـرف بنفسه على نقل بقايا زياتينه الى السوق أو الى الضفة الاخرى من الغابة ٠٠٠ وما كان منه الا أن عاد بعد أيام الى أرضه مع زوجته وبغله وعزمه القديم ، عاد اليها كالآخرين ليروى تربتها بقطرات من عرقه التى اعتادت أن تروى ثراهـا خلال الحراثة والزراعـة ٠٠٠

وفى غمرة من الابتهاج أعد الحفر الصالحة لغراسة الشجيرات الجديدة التى ستثمر عن قريب فى هذا الجو النزيه من العمل المتواصل المحفوف بامكانيـات مادية ومعنوية واسعة مركـزة ٠٠٠

* * *

ونفض التراب من يديه حينما انتهى من الزراعة ، ونظر الى زوجته مبتسما وهى تنتقـل بانبوب الماء تسقى النبات الظامىء غير عابئة بطنـين المحـرك المنتصب الى جانب البئر الجديدة التى مكنتهم من وجودها ادارة الفلاحة

- هل ما زلت تعتقد فى أنى حملت لك الشقاء يا ابراهيم ٠
- كلايا عزيزتى ، انها مجرد كلمات مخطئة املتها غباوة الغضب ٠
- الم أقـل لك انهم لا يريدون بنا سـوءا ٠٠٠
- أوه ! ونحـن ايضا برفضنا لا نقصد مضـرة ٠٠٠

* * *

مرت المأساة من نفس ابراهيم ، وقضى اشهرا طويلة يتفقد حقله ويرعاه ينتظر الخريف بأمطاره والشتاء بغزير مياهه والربيع بابتساماته والصيف بضحكاته وثماره ٠

ولم يعش للانتظار فقط بل أقدم على زراعة الخضر فى ناحية من حقله الشاسع ٠ وعاش للاعتناء المتواصل بها ليجنى ما تدره عليه مربعات الخضر المتنوعة فى فترات متفاوتة حسب الفصول ٠٠٠

وكان شتاء اشتهر بالزوابع المخيفة ٠٠٠

امتد ابراهيم على فراشه الى جانب زوجته الطيبة وبدأ الكرى يثقل اجفانه ليريح مقلتيه من تعب العمل وينتقل به الى عالم قدسى تنبت الافراح فيه وتثمر آمالا لذيذة هادئة تصنع حب الحياة ، والعمل من اجل الحياة ٠٠٠ وفى لحظة وجد نفسه فى مدخل حقله واضعا يده على كتف زوجته الحالمة وهما يتأملان فى هيام وليد الشجيرات المثقلة بالثمار المزخرفة وألوان الخضر التائهة الراقصة والريح يداعبها فتتمايل فى نشوة سكرى هائمة ٠٠٠

وينتفض السكون على صوت أزيز مبهم فاذا كل شىء ينتهى : الثمار والحقول والخضر والاحلام الجميلة واذا الجفون التى اثقلها الكرى تخف لتتسلل الى اليقظة وتصرف الحلم العذب ٠٠٠ ويتكرر الازيز ٠٠٠ وتتسارع قطرات المياه على بلور النوافذ ، فيسرع اليها ابراهيم يفرك عينيه ٠٠٠ كان أزيز الرعد متصلا ولمعان البرق مشتبكا ، واشتد نزول المطر والريح تعصف بشدة ٠٠٠ لقد كانت عاصفة جامحة استمرت فترات من الزمن كانت كأشد ما تكون وقعا فى نفس ابراهيم ٠٠٠

وهدأت بعد لحظات زوبعة الطبيعة فعاد ابراهيم صامتا الى فراشه يتأمل وجه زوجته الحالمة على حافة السرير تبدو عليها علامات الفرح وهى تحمد الله على هذا الخير العميم ٠٠٠

أغمض عينيه محاولا ابعاد الهواجس التى انزوت فى خاطره الصغير ٠٠٠ وعادت الى فكره لعلعة الرعود وزئير الرياح فأثارت كوامن شجونه وحركت مخاوفه وخشى الضياع وسط هذه اللحظات الصاخبة فقام يقطع الغرفة ذهابا وايابا مطلا من حين لآخر من زجاج النافذة فلا يرى غير اشلاء الظلام الكثيف ٠٠

ونكس رأسه على حافة الخزانة القديمة لكنه لم يدر حينما فتح عينيه هل كان فى اغماءة طويلة أم فى شرود ضائع أو تأمل يائس ٠٠٠ ولاحت خيوط

الضياء وسط عتمة الظلام بعد انتظار طويل ، فذهب ابراهيم مسرعا الى ناحية من الغرفة يرتدى ملابسه ثم اخذ برنسه وتسلل خارج البيت تاركا زوجته فى اغفاءة طويلة ...

وترك لبغله حرية السير فى الطريق التى اعتاد أن يشقهـا منذ سنـوات بعيدة ... وانتابه عندما وقف البغل ورفع رأسه شبه دوار غريب حين عانقت عيناه وهى تتسع هياكل الشجيرات الملقاة كما شاءت لها عاصفة الليلة الماضية ... ولفه ضباب كثيف اغبر حتى نسى امره وأمر بغله الذى اندفع يقتطـع ويأكل من ضحايا العاصفة ما شاء أن يأكل ...

ظل جامـدا وفى نظراته الظامئة لعنة وفى صمته المبهم ثورة وعاد يتعقـب فى ذاكرته اطوار حياته القديمة ويحتضن خيال ـ الغولة ـ والزياتين الراحلة ... وبعد برهة من الصمت والتفكير عرف أن لاشىء يجدى سوى التفكيـر فيما يجـدى ....

وكمن اصيب بجنون اندفع نحو الكوخ يرفع اشـلاءه ليخرج مـن تحتهـا أدوات عمله التى اعتاد أن يتركها هناك وارتمى فى الاتلام المرتوية لا يتحكـم فى حركاته الجنونية المبعثرة وهى تعيد حفر الحفر وتعالج أشـلاء الشجيـرات النائمة منها والمتكئة على اكداس من التراب المبلل ... تحركت فجـأة عزائمه فى انفعال شديد فلم يشعر الا وهو ينفض التراب من يديه بعدما أتـم عملـه وأعاد الشجيرات الى الحيـاة ...

ثم التفت ـ بعد استراحة قصيرة ـ يجمع الخضر المتناثرة هنا وهناك وفى حين تهادى من بعيد خيال زوجته وهو يقترب شيئا فشيئا ... ووقفت حـين وصلت على مقربة منه تتأمله فى خوف مزدوج بشىء من حب الاطلاع والتساؤل ... وبسطت له قفة الغذاء من بعيد فتقدم نحوها وأخذهـا ووضعها جانبـا ثم فتح ذراعيه يحتضنها فى ضمة طويلة عنيفة بددت أوهـامها مـرة أخـرى وفتحت لها آفاقا جديدة ...

ومضت الى جانبه تجمع الخضر بينما كانت قطع من سحاب الليلة الماضية تعبر سمـاء الحقول لتتـرك المجال لأشعـة الشمس الحبيبـة ...

ع ـ ش

كلمات من الأعماق!

شعر : عبد الرحمان الكبلوطي

أحبكِ ، كيف أنسَى ، لا أقول — لقد هامت بطلعتكِ العقولُ ؟
فماذا عن جمالكِ سوف أحكي؟ — وهل تكفِي القصائدُ والفصُولُ
وماذا من رياضك سوف أجْنِي — وقد ضحكت بمبْسمكِ الحقول
لانت النُّور يسري في البطاحِ — يعُمُّ الكون ضوْؤُهُ ، لا يزُولُ
أأنتِ العِطر فاح على الروابِي — يَشُمّ أريجه الصبّ العليلُ
وُحبكِ في نجُوم الليل تزْهُو — يزيدُ بهاءها القمرُ الجميلُ
وفي شمس الضّحى تجتاح أرضِي — ويلهثُ خلفها الظلّ الظليلُ
وفي الغصن الرشيق إذا تثنى — تزينُهُ في تعاقبها الفصُولُ
أحبك أنتِ لغْزٌ فِي حياتِي — تعزّ لفك طلسمه الحلُولُ ،
لقد أوتيتِ من مولاكِ حُسْنًا — بديعَ الصّنع ، ليس لهُ مثيلُ
وفقتِ الظّبي فِي حورِ العيونِ — وحلّى فرْعكِ الجيدُ الطّويلُ
وغار البدرُ من وجه تحدّى — به الرّيحانة الخدّ الاسيلُ !
أفاتنتي هويْتُكِ من زمان — وحُبِّي فِي فؤادي لا يدُولُ
سأبْقى طُول عُمْري ارْتجيكِ — لانّ هواكِ في قلبِي نزيلُ
وسوف الله أدعُو فِي صلاتِي — لئلاّ يعْتري حُبّي ذبولُ !

ع – ك

مطالعات

بذور

تأليف : البشير المجدوب

تقديم : محمد مزالي

عرفت الاستاذ البشير المجدوب منذ سنوات طويلة أيام جمعنا التدريس في المعاهد الثانوية قبل الاستقلال وبعده ، وكان طبيعيا أن ينتسب الى أسرة مجلة « الفكر » التي أسستها سنة 1955 وأن يواظب على حضور اجتماعاتها الاسبوعية ، فكان ولا يزال محل تقدير أعضائها ، مسموع الرأى ، محترم الجانب ، لما آتصف به من حسن خلق وفرط حياء ، مع وقار في المجلس وصواب في الذوق وغزارة في الحفظ وضلاعة في اللغة والاداب العربية ٠

وكثيرا ما كان يدور الحديث اثناء اجتماعات « الفكر » حول الادب والادباء بتونس وما قد يعترى الاديب من زهد في جمع آثاره ويلقاه من مثبطات اذا هو رام نشرها ٠ فالمجلات والجرائد لا تخلو من مقالات ادبية رائعة ولا من قصائد وقصص قيمة ، علاوة عما تزخر به الخزائن الخاصة منمخطوطات، ولكن قل ان يفكر اصحابها في جمعها والمغامرة بنشرها ٠ ولقد اورثت هذه الظاهرة المؤلمة اعتقادا عند الشيوخ والشباب على السواء ، بله الاجانب ، بأن الادب التونسي ضعيف الكم هزيل الكيف ، وأخمدت روح الابتكار والخلق عند الكثير من الادباء الناشئين الذين لم تتح لهم فرصة التعرف الى رجال الادب التونسيين المغمورين ولا مطالعة المجلات الكثيرة التي اختفت بعد أن حملت مشعل الفكر والثقافة ردحا من الزمن فاختفى معها الطموح وانتفت الهمة الادبية وكاد ان يعم اليأس ٠

واليوم تغيرت الظروف ، اذ تبلور الشعور بضرورة النهضة الشاملة بالانسان التونسي وتأصيله وتركيز مقومات شخصيته وحلت دولة الادب والثقافة محل دولة التجهيل والفرنسة والمسخ الحضاري ، وبعثت دار قومية للنشر كما تحركت همم الناشرين الخواص وتحسنت احوال الطبع ٠٠٠٠

وأعتقد أن أبواب الامل انفتحت أمام البشير المجدوب فصح منه العزم على نشر مجموع مقالاته اذ سألني يوما بنادى الفكر ان أقدم لكتابه اذا قدر له الصدور فأجبته من دون أن أفكر كثيرا بنعم ،

ومرت أشهر طويلة على هذا الوعد : ومنذ أيام قليلة راسلني من مصطافه بالحمامات وزف الى بشرى قرب صدور كتاب يضم كل مقالاته المنشورة بمجلة « الفكر » (مضافا اليها أربع نشرت فى جريدة الصباح واثنان فى مجلة التجديد) ويطلب منى ان انجز الوعد ،

أول ما يجدر ملاحظته هو أن هذا الكتاب يسد فراغا مريعا فى مكتبة الادب التونسى ويدشن سلسلة جديدة نأمل أن تتواصل حلقاتها باطراد ، ذلك أنا اذا استثنينا « مقامات » مصطفى آغا التى تعمل فيها السجع والتى نشر بعضها على صفحات « الفكر » وحلقات « حدث أبوهريرة قال ٠٠٠٠ » لمحمود المسعدى المنشورة بعضها فى مجلتى المباحث والفكر وقد نحا فيها منحى رمزيا وبلغ الذروة من حيث روعة الخلق الادبى وعمق التفكير والتأمل وأحاديث أبى حيان الطريفة للصادق مازيغ ومقالات على البلهوان والطاهر قيقة والمحجوب بن ميلاد ومحمد الحليوى التى لا يزال أكثرها ينتظر النشر ، فاننا لا نكاد نجد نثرا فنيا بل يوشك الانتاج الادبى التونسى المعاصر ان ينحصر فى الشعر الذى ظهرت منه دواوين ممتازة ، وكثيرة نسبيا ، فى السنوات الاخيرة، وعدد من القصص التى استشرف بعضها مستوى مرضيا ومحاولات قليلة ومحتشمة فى النقد ٠

لذا حق لنا ان نبارك عمل الاستاذ البشير المجدوب الذى عزز جانب النثر ومهد الى التوازن الضرورى فى كل أدب حى بين الشعر والنثر ، فسد بذلك ثغرة فى الادب التونسى وأجلى غصة عن نفوس المتحمسين لهذا الادب ، المؤمنين بأصالته ، العاملين على انمائه وازدهاره ، خاصة وان الشعر ، رغم انه صعب سلمه « وأنه ليس زهرا ينبت فى الخلاء » الا انه أيسر من النثر الادبى لا النثر عامة وبالاحرى نثر الصحافة ـ لانه يعتمد على حدة القريحة وعفو البديهة وصفاء الموهبة والشاعر بالطبع أشد ثقة واليه اكثر استئناسا كما قد يقول الجرجانى ، أما النثر الفنى فهو أقرب الى كد الروية وألصق بالصناعة الفنية وأحوج الى الثقافة المتينة ، والناثر الفنان لا يبلغ قصده الا بالانقطاع الى الجهد والدربة على عناء الخلق والجد فى حسن التأليف وبراعة السبك و « سياقة الحديث » والحرص المتواصل على اكساء المعنى الطريف الكساء الجديد والثوب القشيب ٠

وهذا ما يزيد المؤلف فضلا ويوجب لجهوده التقدير ويحملنا على أن تستزيده

وانت اذ تتصفح هذا الكتاب تجـد نفسـك بـازاء كاتب ذى عقـل ثـاقب وحس مرهف وشوق ظمآن ، يتفاعل مع كل من حوله وما حوله من الكائنات ويسلط نور فكره على مختلف المسائل والمشاكل التى أوجدها القرن العشرين أو انطوت عليها نفس الانسان وحتمها التعايش البشرى المتأرجح بين الحرب والسلم ، بين التشاؤم والتفاؤل ، بين اليأس والامـــل ٠

وهو اذ ينظر الى الحياة ويتأمل الموت ويتعظ بالاحداث ويستبطن الاديـان ويتكشف الطبيعة ويغوص عن كوامن النفس فى عظمتها وحقارتها وفى خيرها وشرها ويقيم العلم ويمعن فى اكتشافاته وهو اذا ينزل الانسان منزلته من الكون والوجود ٠٠٠٠ لا يتفلسف ولا يفرض على الواقع الثرى الحى هيكلا ما ورائيا أو تصورا قبليا ، ولا يرجع فى تقييم الاشياء وفهم الناس الى مذهب متحجر يؤول فى خاتمة المطاف الى قيد مجحف وحجـاب سميـك يتعـذر معه ادراك الاشياء فى تجددها ونضارتها وينتفى به الحوار الحى مع الحياة ٠ ولو عمدت الى نعت البشير المجدوب بالفيلسوف لاثـرت عجبـه وربمـا استنكـاره لانه يأبى ان يتعدى الى ما ليس من شأنه ، كما انك تثير احتجاجه لو قلت له انه شاعر او انه « يشعر نثرا » كأن النثر الادبى لم يكن فنا رائعا قائم الذات ٠

انه ليس فيلسوفا يعتمد العقل المجرد ويطمئن الى الادلة المنطقية وحدها واعتقادى انه لا يريد ان يكون كذلك فهو يفكر بعقله ولكنه « يرى » ايضا بقلبه وبصيرته ويحس ويتعاطف ويتفاعل ٠٠٠ فالارتسام عنده معرفة ، والخاطرة حق والايحاء لديه تدليل ، والذوق فى نظره مرجع ، وبه يدرك ما قد تقصر الصفة عن تأديتـــه ٠

فهو يتأمل الموت ويعجب من تهويل الناس اياه وذعرهم منه ، فيذكر بهبة الطبيعة وهدية الحياة وقدرة الانسان على الخلود وبذلك يتجاوز العدم والنسيان « الا ترى انك اعطيت كل شىء ٠٠ الكون بأسره دفعة واحدة ٠٠ وتهتم لامر الموت بعد هذا وتغتم ، وتراه نقمة ومأساة وقد قهرته اولا وأضعت عليـــه الفرصة الحق ومكنت لنفسك فى الوجود تمكينا ٠٠ » ثم هو يعجب من أمر أولئك الذين يختصرون الاشياء الى حد المسخ فيتمسكون بثنائية مصطنعة يكون معها الانسان خيرا فقط او شرا فقط ، ملاكا أو حيوانـا ، ويؤكـد سلطـان الطبيعة على الكائن العاقل وامتزاج روحه ببدنه وتلبسـه بالخطيئـة : « كلنـا خطاة بالنظر الى باطن النفوس وحقيقتها وما خفى منها ٠ كل ما فى الامر ان بعضنا قد برز خطؤه وانكشف وافتضح ، وفينا من هـو ينعـم بالسـلامة او العصمة ـ ظاهرا ـ والقلب أتون أو جحيم أو بؤرة من الشهـوات تضطـرب وتصطرع أبدا ـ حرب سجال قائمة من وراء حجاب تموت وتحيا أبدا ٠٠٠٠ ثم يضيف : « الخيـر والشـر ، مـا أقـرب هذا الى ذاك ٠ ما أشـد اعتناقهما واشتباكهما وان ظن البسطاء من الناس وزعم المنافقون أن بينهما هوة لاقرارها،

الا أن الانسان ليس لعبة شهواته وليست الخطيئة قدرا محتوما عليه فهو فى منزلة بين المنزلتين ، كما قد يقول المعتزلة، انه « بين الشهوانية العارمة الظمأى والروحانية المجنحة العزوف » ٠٠٠ بين « لمعة الصفاء والطهر وحماة الفسق والتعهر » لانه « ما كان يوما مجبرا محضا ولا مجبرا محضا » ولان القبح والحسن ٠٠٠ طرفا نقيض يحف بهما الاستفهام ، قطبان يتجاذبان نفس الانسان فما لها من قرار ٠٠٠ » لان الانسان من الوجهة الاخلاقية يفلح بقدر ما يزكى نفسه وتعلو قيمته وتعمق انسانيته بقدرما يتجاوز الجانب المادى فيه ويتسامى عما هو قدر مشترك بينه وبين الحيوان ، فيغلب حظ الاختيار وتنتصر الحرية ويدرك أنه بكل ذلك يستحق ان يكون خليفة الله فى الارض ، ويشعر الانسان بالسيطرة على المادة وبأنه يسود الكون فتأخذه الخيلاء ويتحدى الرب ويفسد ما خلقه الله ويعقم الارض ٠٠٠ ان نفس البشير المجدوب الحساسة تخشى كل ذلك ويصطدم ضميره المرهف بالحرب والعنف وتفجير القنبلة النووية ٠٠ فهل يخضع ويخنع ويترك لليأس الى قلبه منفذا ؟ لا انه يتجاوز هذه المظاهر السلبية كما تجاوز الموت ويتمسك بالظواهر والاحداث التى تسفه التشاؤم وتبدد الظلام فيصرخ فى بطل الفضاء : انك خاطبت فينا أسمى وجه من كياننا انك اهتديت فينا الى الانسان ، لا اعتبار عنده للمكان ولا للزمان ، وتهزه نخوة الشعوب التى تسترجع حريتها وتفوز باستقلالها وكرامتها بعد جهاد مضن وكفاح مرير فينادى : « الحرية ٠٠٠ انها حليلتك ، شرفك ٠٠٠ معنى وجودك ، » ويتمعق فى الكون فيبهره جماله فيقبل عليه ويحاول الفوز به ويعود الامل وتنتصر عزيمة الخلق وتذليل المستقبل ويؤمن بان سعى الانسان انما هو فى ارغام المستحيل ٠٠ على الامكان ،

والبشير المجدوب فى كل هذه التأملات والخواطر والارتسامات لا يروم السباحة فى أبحر المطلق ولا الهيام فى ثنايا مغلقات الغيب ، انه مواطن قبل ان يكون مفكرا وانسان قبل ان يكون أديبا ٠ لا يكاد حدث يمر دون ان يتأثر به ويتفاعل معه ٠ انه يحيا مع المواطنين فرحتهم باستقلال تونس وتهتز مشاعره فخرا واعتزازا لتحرير بنزرت فى غمار ملحمة خاضها الشعب باسره وقد استجاب القدر لارادته بعد ان استشهد نخبة من أبنائه البررة ، ويتضاعف ايمانه بحرية الانسان وسيادته على الكون وتطغى عليه نشوة الانتصار عند الاعلان عن استقلال الجزائر بعد قرن وربع القرن من الاستعمار التوطينى ، وجهاد دام تواصل ثمانية اعوام ويحلم بوحدة المغرب العربى الكبير ، ولم لا يحلم وقد حقق الانسان « أحلاما » كثيرة وهو الذى لو تعلقت همته بما وراء العرش لناله ، لم لا يحلم وقد عرف احد المفكرين السعادة بأنها حلم من أحلام الشباب تحققه الكهولة ،

وهو الى ذلك يعاشر مواطنيه ويحس بما يحسون فيأسو لحال الفقير

الذى يحيا حياة الضنك تحت الاكواخ فيتحداها لانها عنوان التخلف وأحد مظاهر المجتمع الجائر الذى ورثناه عن قرون الانحطاط الطويلة وعهود الاستعمار الغابرة فيصرخ فى وجهها : لن يطول أجلك أيتها الاكواخ ،

ولا ينسى المؤلف أنه ينتسب الى أسرة التعليم ولا يتجاهل ما يقاسيه المربون من اتعاب وما يرزحون تحته من جسامة المسؤوليات ولكنه يتحمس لرسالة المربى ويتعزى عما قد يحرم منه فى هذه الدنيا بما يحصل عليه من راحة ضمير وما يفوز به من شعور بالخلود ما دام تلاميذه امتدادا له وتمجيدا أبديا لوظيفته السامية فى المجتمع ، وما دام قد اختار هذه المهنة الشريفة عن وعى وطيب خاطر وارتضاها اطارا لحياته ومنطلقا لشخصيته وتتناول ريشة الفنان البشير المجدوب الارض والربيع والصيف والعيون وماهية النغم والموسيقى وحقيقة النقد والخلق الادبى وهوية الادب بنفس البراعة فى الوصف والمقدرة على الايحاء ويشملها فكره بالتعمق والتروى ويحوطها فهمه بالاستقصاء والاستبطان فاذا هى صفحات من أقوى وأجمل وأبلغ ما طالعت فى النثر العربى الحديث ومن أروع وأصدق ما شهد به كاتب عربى على عصره وبيئته ٠

وقد يجد بعض من يراهم « فولتير » مكلفين ٠٠٠ بحراسة أبواب الادب شيئا من المبالغة فيما سبق وينكرون على مؤلف البشير المجدوب الطرافة والجدة، ألم يتهافت الكتاب والشعراء من القدم على هذه الاغراض التى تناولها هذا الكتاب وأى ابتكار يمكن الظفر به فى وصف العيون او الحديث عن الربيع والصيف أو التأملات فى المنزلة البشرية والمقابلة بين الحسن والقبح والتعريف بالنثر والشعر ؟

لعل هؤلاء بهرهم الكتاب المعنون فى الرمزية فآمنوا بأن عمق الفكرة على قدر غموضها وأن اصالتها على قدر استعصائها عن الفهم واعتقدوا أن قيمة النثر تقاس بتعقد معانيه وتعويص مراده ٠

انى لا أومن بهذا الاتجاه لان كل المعانى والاغراض أو أغلبها طرقها المفكرون وعالجوها وقتلوها تحليلا ودرسا واستنفدوها استيحاء واعتبارا فهل معنى هذا أن الادب لا يتعدى اليوم الاعادة والتكرار والاجترار وفتح ٠٠ الابواب المفتوحة ؟ ثم ان الخلق فى الادب والفن ليس بالضرورة ايجاد الشىء من اللاشىء ، انه بالعكس اسلوب ومظهر جديد لشىء موجود ، ومادة مستقرة استقرار الطبيعة والانسان فى اخص خصائصهما ، ان الخلق الادبى والفنى هو الثوب الجديد الذى يقده الفنان على قد المعنى أو الهيكل الموجود ويلبسه اياه ويظهره للناس فى مظهر جديد طريف يسر الناظرين ويطربهم ويلهمهم أو يحفزهم على التفكير ٠

وهذا ما عبر عنه احد أدباء الغرب فى هذا القول الذى نقله توفيق الحكيم : « انه ما من علامة أفصح فى الدلالة على انعدام الابتكار عند بعض الشعراء من نزوعهم الى البحث عن الموضوعات الغريبة . ان أرفع مراتب الابتكار قد يتسنمها شاعر يتغنى بالربيع ، فغناؤه يقطر دائما جدة ونضارة شأنه شأن الربيع ذاته، ذلك الجديد النضر دائما مهما تعاقبت عليه القـرون والحقب » ، ان الخلـق فى الادب والفن – كما أكده توفيق الحكيم – هو الكسوة المتجددة لكعبة لا تتغير .

المهم هو الاسلوب الذى به يتناول الكاتب الغرض والمعنى واول ما نطالب به الفنان هو الصدق والاصالة وأوكد ما نلزمه اياه هو طرافة التجربة وتميزها وقدرة الكاتب على وضعها مع ذلك فى ابعـاد تتجـاوز حـدود الفـرد وتصله بالانسان وتحقق الشمول .

والى جانب ما اتصف به أسلوب البشير المجدوب من بلاغة فى الـوصف وروعة فى المجاز وثراء فى الصـور وبعـد فى الخيـال ودمـاثة فى المعـرض تجانس دماثة خلقه ، فانه اهتدى فى اعتقادى الى الجمع بين ما سماه أبو حيان التوحيدى فى الامتاع والمؤانسة عفو البديهة ، وهو ما قد يسميه بعض « سدنة الادب » سذاجة وبين كد الروية ، واذا كانت فضيلة عفو البديهة ان يكـون الكلام اصفى وفضيلة كد الروية ان يكون أشفى فان فضيلة المركب منهما ان يكون أوفى ويضيف أبو حيان : « وعيب البديهة ان تكون صورة العقـل فيه اقل ، وعيب كد الروية ان تكون صورة الحس فيه أقل ، وعيب المركب منهما بقدر قسطه منهما : الاغلب والاضعف ، على انه اذا خلص هذا المركب مـن شوائب التكلف وشوائن التعسف كان بليغا مقبولا رائعا حلوا ، تحتضنـه الصدور وتختلسه الاذان ، وتنتهبه المجالس ويتنافس فيه المنافس بعد المنافس والتفاضل الواقع بين البلغاء فى النظم والنثر انما هو فى هذا المـركب الذى يسمى تأليفا ورصفا » .

اعتقد ان البشير المجدوب وفق فى نظرته للناس والوجود ، وفى تفاعله وتعاطفه مع الطبيعة والاحداث ، الى اثراء تجربة الناس وحملهم على الامعان فى شهادته على المنزلة البشرية والاتعاظ بها والاصغاء الى النداء الموجه الى الانسان فى كل مكان وزمان ، وليس قليلا ما بذله من جهد ومعاناة ولا يسيرا ما حققه من توفيـــــق .

أليس الاديب الحق هو من يوحى اليك بعمق جديد ويكشف لك عن بعد طريف كلما أعدت قراءة كتابــه ؟

محمـد مـزالى

ندوة القراء

لماذا الرفض ؟

بقلم : المنصف الوهايبي

هل فرض الشاعر هذه المواضيع على نفسه ؟ هل كان فى ذلك صادرا عن ميل شخصى أم عن فلسفة اجتماعية أصيلة ؟

ألحت على هذه الأسئلة وأنا أطالع القصائد التى ينشرها الأخ الطيب الرياحى بمجلة الفكر والتى يدعو فيها الى أدب مناضل هادف يخدم القضايا المباشرة للانسان . وقد تبينت من خلال تمعنى فى بعض قصائده التى أذكر منها : « أغنية الفقر والخجل » و « الى تافهة » و « الى شاعر غزلى » و « صلاة ثانية للحرف المناضل » ، أنه لا يصدر فيما يكتب ، عن اقتناع باطنى برسالة الموضوع الذى يتناوله . فقد لاحظت مثلا أن « أغنية الفقر والخجل » تتشابه تشابها تاما من حيث الشكل والمضمون ، مع قصيدة سليمان العيسى : « الى متسائلة » المنشورة بديوانه « رسائل مؤرقة » . فكلاهما يعلل خلو أدبه من العنصر النسائى ويعلن **رفضه** لمفهوم المرأة الدمية كما يقول بعضهم باعتبارها مظهر ترف واغراء . وقد كان على الأخ الرياحى كى يكون أصيلا أن يوفر فى شعره الوعى الذاتى أولا فالاجتماعى فالانسانى.وهو ما فعله القديدى فكانت أغلب قصائده تمثل انتقالا متدرجا من الفرد الى الوطن والقومية والانسانية ، استطاع فيها أن يوفق بين « الأنا » و « النحن » أى بين ذات الفنان وذات المجتمع . وهذا ما يتضح لنا من خلال قصائده التى أذكر منها « حبيبتى » و « صلاة للحرف المناضل » و « غادة البئر » و « مقبرة الغرباء » وخاصة « رجعت يا معبودتى » التى يقول فيها :

« رجعت الى يا ينبوع أشعارى

ويا وطنى

رجعت وعدت من منفاى للدار

أشتم عبير فلتنا
وأبحث فيك عن شمسي وأمطاري » ٠

فقد كان في كل هذه القصائد مرتبطا أشد الارتباط بالمجتمع ، يحتضن كادحيه ويعبر عن آلامهم وآمالهم ، ومع ذلك لم يتخل عن ذاته كانسان ٠ والواقع أن الرياحي لم يتفطن الى أن الاتجاه الذى يدعو اليه خطير على الشعر ٠ فهو بتبنيه لهذا الاتجاه يجعل من قصائده عملا فكريا يكون جانب الوعي فيه أبرز من جانب اللاوعى ٠ والعمل الفنى كما يقول بعضهم : « لا يقف عند حدود العقل كما لا يقف عند حدود العاطفة المجردة ٠ انه عمل يرتكز على الفكر العاطفى المنسجم مع الذات المجتمعية الانسانية » ٠ وقد كان على الأخ الرياحي الذى يريد أن يجعل من الأدب سلاحا للنضال والكفاح أن يحترم كل نشاط للروح البشرية ٠ فالشعراء الغزلون الذين يقول عنهم الرياحي انهم لزموا أبراجهم العاجية ، يعملون فى الواقع على خلق صور واحساسات جميلة فى أشعارهم ، تغذى حاسة الجمال فى الانسان ٠

وأخيرا نهمس للأخ الرياحي ما قاله محمد مندور : « ليس من المعقول أن يسجن الأدب والشعر بنوع خاص فى منطقة الكفاح وأن يتخلى عن كافة وظائفه الاخرى » ٠

وأنا أقول للأخ الرياحى ، لعل اضفاء الشاعر صفة الشمول على تجاربه يكسبها روعة الخلق وعمقه ٠ فليجرب ٠

م٠ و٠ (كلية الآداب)

اقرؤوا فى الأعداد القادمة

- « عندما نرجم التمثال » مسرحية كتبها : أحمد القديدى
- « كيف لى أن لا أنام على حرقتى » قصة : لحمادى التهامى الكار
- « جامع الحلفاء » قصة : لمحسن بن ضياف
- « مدينة المنستير فى أواخر القرن الماضى » : لأبو بكر عبد الكافى
- « نحن المجرمين » شعر : فضيلة الشابى
- « لوحة صحراوية » قصة : لسالم دمدوم
- « أنت الجانى » قصة : لمحمد المختار العبيدى
- « الحيرة والخلق » بقلم : عز الدين المدنى
- « أبى والحمار » قصة : لمحمد باردى
- « قصائد مضادة » بقلم : محمد مصمولى
- « الكهف والمطر » شعر : الطيب الرياحى
- « سقوط سدوم » مسرحية بقلم : إبراهيم بن مراد
- « الوجه الآخر للحكاية » قصة : لابراهيم بن مراد
- « الطريق من البداية » قصة بقلم : أحمد الهرثام
- « مظاهر الأصالة فى قصص الدوعاجى » بقلم أحمد الحاذق العرف

رد حول المرأة والنضال وثلاث قصائد

بقلم : عبد الله الكحلاوى

طالعت فى مجلة « الفكر » (العدد الثالث فى ندوة القراء) مقالا للسيد الطاهر الهمامى يتعرض فيه الى مشكلة المرأة فى الشعر والى ثلاث قصائد : « صلاة للحرف المناضل » للشاعر أحمد القديدى و « خطيب » للشاعر ايضا رياض المرزوقى ثم يترك المجال لغيره فى قصيدة « فتيات سلامبو » ٠

تعرض صاحب المقال فى المقدمة الى مشكلة الهدفية والبرعاجية والصالونية ٠٠٠ وتحدث عنها فى شىء من التهكم رغم ان المشكلة قديمة وقد تعرض اليها الكثير من قبله ، وليس هذا هو الذى دعانى الى الرد على الاخ الهمامى وانما اردت ان انبه الاخ الكريم ليبتعد عن المواضيع المجترة ويوجه قلمه الى الخلق والابداع ٠٠٠

ويتعرض السيد الهمامى فى هذا المقال الى قصيدة القديدى وبعد التقديم يحاول نقدها ٠ وما اسهل النقد عند الاخ الهمامى ٠ فقد حكم على القصيد بالبساطة اذ قال بالحرف الواحد « وقد جاءت على بساطتها ويسرها محكمة العبارة » ٠ ولم يبين لنا الاخ الهمامى موطن البساطة فى هذا القصيد ! بل هو مر مر الكرام ، وكانه لم يقل شيئا ٠ ثم هو يتمادى فى نقده او سمه ما شئت فيقول « وانك ٠٠٠ واجد اصداء من عبد الوهاب البياتى خاصة فى ديوانه النار والكلمات ونزار قبانى فى قصائده الاخيرة وبول اليار فى « حرية » وكعادته يقف الهمامى عند هذا الحد دون ان يبين مواطن هذه الاصداء من القصيد او دون ان يلمح الى ذلك تلميحا وليس هذا ـ فى رأى ـ من النقد فى شىء اللهم اذا اعتبرناه طريقة جديدة ابتكرها الاخ الهمامى وانفرد بها فى نقده ٠ ومن الغريب ان يرى الاخ الهمامى ان زمن الحرية والطغاة قد ولى ٠ ولهذا لاداعى ـ فى رأيه ـ الى التغنى بالحرية ٠ وكأنى بالاخ الهمامى قد نسى ان الرق لا يزال الى يومنا هذا وان اخواننا السود لا يزالون يعذبون ويقتلون فى روديسياوفى٠٠٠وفى ٠٠٠ ثم بربك كيف ولى زمن الطغاة الا ترى اخوانك فى « يافا » وفى القدس يصلبون ؟ الا ترى الطغاة كايان سميث يذبحون الابناء ويستحيون النساء كما كان يفعل فرعون مدة قرون مضت ؟؟!!

وبعد النظرة الخاطفة على قصيد القديدي يمر الاخ الهمامي الى قصيد المرزوقي « خطيب » ويا ليته لم يمر عليه فقد كان نقده سطحيا بل هو لم ينقد ولم يتغلل الى الاعماق كما يفعل النقاد وانما اكتفى بالاشارة الى ان قصيدة المرزوقي « بها من العبارات والالوان ما ليس بجديد كاللهيب والبعد والخطوب والزورق ••• » ثم هو يترك قصيدته فتيات سلامبو الى غيره • ولست ادرى ما الاسباب التى تترك الطاهر الهمامي يدعو غيره دعوة خفية الى تناول قصيده ؟ فى رأيى ان الناقد يهتدى وحده الى الاثر ويتناوله بالدرس ثم ان الاثر نفسه يفرض وجوده على القارىء فيتناوله • فهل دعا مثلا جعفر ماجد النقاد الى تناول آثاره ؟ وهل دعا صمود ابراهيم بن مراد الى نقده ؟ لا اظن ذلك ••• ولكن مهما يكن من هذا فها أنا ألبى رغبة الهمامي وأحاول أن أدرس قصيدة « فتيات سلامبو » اول ما نلاحظ فى هذا القصيد وخاصة فى المقطع الاول منها نلاحظ ثقلا فى القافية :

فتيات سلامبو الحلوات   أفديكن أيا فتيات

فحرف التاء هو حرف لسانى ثقيل وخاصة اذا تكرر يكون أثقل فأثقل • واما المعنى فهو يبدو لى ساذجا بسيطا « فهن حلوات » وهذا لفظ مبتذل بل يكاد يكون عاميا لكثرة تناوله • ثم أفديكن أيا فتيات » ليس هناك جديد فى هذا المعنى فكل حبيب يفدى حبيبته او كل محب على الاصح يقول لحبيبته أفديك و •• و •• و ••

ويستعمل الاخ الهمامي وصفا فى البيت الثالث غير موجود عند الشعراء ولا حتى فى العربية فيقول :

أفدى الاجفان الشهل وأفدى الاعين وهى بحيرات

فنقول العيون الشهل ولا نقول الاجفان ثم فى عجز البيت « وهى بحيرات » فهذا التشبيه مبتذل كصاحبه فقد استعمله من قبله الكثير والكثير • مثلا نور الدين صمود فى قصيده « عيناك » جدولا نبيذ يقول :

« عيناك يا حبيبتى بحيرتان •
اراهما فأبصر الضياء والظلال ••• »

وكذلك جعفر ماجد فى قصيده « ملاح » يقول :
« وفى عينيك يا معبودتى ابحر • »

ثم فى قصيد آخر وأظنه « الخطايا » يقول :
« وبحر فيه قد ضيعت ذاكرتى »

ويقصد بالبحر العين طبعا ٠

ويقول الهمامى فى بيت آخر :

« ٠٠٠ تلـوح عليهـا النجمـات ٠ »

فكيف تلوح النجمات على « العين البحيرات » ٠
هذا ما لم أفهمه ٠ فانى اسأل الاخ الهمامى كيف تلوح النجوم فى العيون فلعنه قد عاش او شاهد التجربة قبل غيره ٠

ثم يقول فى بيت آخر :

تحلمـــن بليــــلات العـــرس

فتيـات سـلامبـــو الحلـــوات

اى : تحلمن الفتيات ٠ وهذا غلط فادح فنقول فى العربية تحلم الفتيـات وأظن ان الاخ قد اجبره الوزن فوقع فى هذا الخطا ٠ وكذلك تحلمـــن بليـلات العرس : نفس الملاحظة وهذا القصيـد عـلاوة على مـا ذكـرت ليس جـديـدا لا من حيث المعنى او الاطـار ٠ فالاطـار كلاسيكى والمعنى بسيط تناوله عدة شعراء من قبله ٠ وان كانت قصيدة جعفر ماجد « سلامبو » بدت رائعة كاروع ما يكون الشعر وأظن ـ حدسيا ـ ان الاخ الهمامى تأثر بقصيدة ماجد فكتب « فتيات سلامبو » وخاصة انها ظهرت بعد قصيدة ماجد ٠

وعلى كل فالاخ الهمامى لا يزال فى بـداية الطـريق خـاصة وهو حـديث السن ولا يمكن ان نقسو عليه إذ انه لا يزال هاوى شعر وقد علمنـا ادباؤنـا واساتذتنا الرفق بالهواة ليشتد ساعدهم وتينع اغصانهم ٠

وقصيدة الهمامى لا تخلو ـ اذا نظرنا اليها نظرة اجمالية ـ من نفس رقيق وعبارات سلسة وصور حلوة وأظن ان هذه القصيدة قد مكنت الاخ الهمامى من القفز من بـريد القـراء الى المحتـوى وهذا ان دل على شىء فانما يدل على تشجيع الفكر لشبابنا الناهض ليثق بنفسه ويتمادى فى هذا الطريق مجاهدا فى سبيل الحرف والكلمة ٠

ع٠ ك٠

طالب بكلية الآداب

أصداء الفكر

◆ **مؤتمر أدباء وكتاب المغرب الكبير :**

اجتمعت أخيرا اللجنة التحضيرية لمؤتمر أدباء وكتاب المغرب الكبير في طرابلس ودرست اللائحة الداخلية ثم نظرت في الموضوعات الرئيسية والبحوث والدراسات التي ستقدم في المؤتمر ·

وقد علمنا أن هذا المؤتمر سينعقد في 15 مارس 1969 بطرابلس وستشارك فيه تونس بوفد يترأسه الاستاذ الطاهر قيقة مدير الفنون والآداب ·

◆ **القيروان :**

زار الاستاذ فؤاد جبور حداد تونس ومر بالقيروان فأوحت له بقصيدة نشرت بمجلة « الأديب » في عددها الصادر في شهر جانفي 1969 وهذا نصها :

« يروى ان عقبة بن نافع عندما دخل افريقية وجد مكانا فيه افاع وعقارب فنادى عليها ان تخرج وامتثلت كلها لامره ·· وهناك بنى مدينة القيروان ، وعندما زرت المدينة أوحت الي بهذه الأبيات ···

سمعنا بسحرك منذ زمان فجئنا نزورك يا قيروان
فنكحل بالترب منا العيون ونخشع في قدس ذاك المكان
وكم لحت في حلمنا جنة وها انت في العين أبهى الجنان
عروس الرمال تحية قلب له في مغانيك اي افتتان
أتيتك فوق متون الرياح أطير بشوقي رخي العنان

* * *

اسائل عقبة عبر العصور اما من سبيل لشط الامان
بلادي دهتها الرزايا الكبار وفي ارضها احجر الافعوان
سموم الحتوف بانيابه وغدر الابالس تحت اللسان
ولو زرتها اليوم يا عقبة بكيت عليها الدموع السخان
فارض الجدود ومسرى الرسول ومهد المسيح تراب مهان
هلم مبيد الافاعي الكبار اما منك حرب عليها عوان

* * *

نظـرت لمحـراب عقبـة ارجـو ... جـوابـا يهـدىء منـى الجنـان
سمعت الطبيعـة حـولى تـردد ... بيتـا من الشعـر جـم المعـان
قريضا نما من تـراب البـلاد ... وفيه عبيـر الـروابى الحسـان
(اذا الشعب يومـا أراد الحيـاة ... فلا بد أن يستجيب « الزمان »
ولا بـد لليــل ان ينجــلى) ... ولا بد للصبـح أن يستبـان »

◆ **الاستاذ جاك بارك والادب العربى المعاصر :**

قامت مجلة المعرفة باستجواب للاستاذ جاك بارك نقتطف منه ما يلى :

س : ــ « **استاذ بارك ٠٠ كيف تنظر الى الادب العربى المعاصر ؟**

ج : ــ الادب العربى المعاصر ، فى ذهنى ، بحث عن الذات اكثر منه انجاز فنى متكامل منسجم ٠٠ ومن هنا قيمته ، وهنا خيبته ، لان هـذا التعـريف يقتضى اهمية الشهادة التى يشهد بها هذا الادب على المجتمع العربى القلق ، وكذلك على المجهودات المتنوعة التى يبذلها فينجـح البعض منهـا ، ويخفـق البعض الآخر ٠

كلمة « القلق » تبدو لى من الاشارات ، أو من الشعارات الكبرى التى تهدينا الى فهم هذه الظاهرة ٠٠ فما هو القلق ؟ انك لو تصفحت « لسان العرب » تجد ان القلق ما بين السيف وغمده ٠٠ ما بين السرج وجسد الفارس ٠٠ أو كما قال الشاعر ذو الرمة ما بين الثوب وخصر المرأة ٠٠

فكذلك القلق المعاصر ، يعنى عدم الانسجام ما بين الروح والمجتمع ٠٠ ما بين الفكر والعمل ٠٠ ما بين الشكل والموضوع ٠٠ ما بين الامل والواقع ٠ وعلى هذا نستطيع ان نقول : ان الادب المعاصر قلق يشهد على مجتمع قلق ٠٠ وقد كنت من اوائل الذين لفتوا نظر المفكرين الاروبيين الى هذه الظاهرة ٠٠ فكتبت قبل خمسة عشر عاما مقالة عنوانها « القلق العربى المعاصر » ٠٠٠

وكما سبق الكلام ٠٠ فمن هنا النجاح ، ومن هنا الاخفاق ٠٠٠ فمن النجاح كما أظن ، ان يتوصل العرب ، فكل هؤلاء الشعراء عراقيون ٠٠ والاستثناء هو على أحمد سعيد (أدونيس) ، الذى اعتبره من اقوى الشعـراء الحـاليين ٠٠ ولعلنى أميل اليه اكثر من اللازم لانه من تلامذتى ٠

أما فى القصة ، فيرى الاستاذ بارك ان العرب لم يحققوا حتى الآن ما حققوه فى الشعر ٠٠ ويقول :

ـ لقد قلدوا الاوربية اكثر مما ابدعوا واستنبطوا ، وسر ذلك فى انبثاق الماء من اغوار الارض ، وكذلك الاصالة تنبثق من اغوار الروح والمجتمع ٠٠ ولكن هل يطبق هذا على من شئت من اصحاب القصة الطويلة أو القصيرة من العراقيين أو المصريين ؟ أترك الجواب لك ٠

أما المسرحية ، فهى فى ذهنى من الميادين الاكثر حيوية ، وخاصة فى مصر ٠

بجانب هذا ، فان البحوث الاجتماعية والنقدية والتاريخية تتسم بتقدم مستمر ٠٠٠

وخلاصة القول ٠٠ إنى لا اقصر قيمة الادب العربى المعاصر على قيمته كشهادة اجتماعية ٠٠ بل انه يتعدى تلك القيمة ٠٠ وله قيمة ادبية لا تزاحم ، وهو يسعى الى كسب موقع مرض بين الاداب المعاصرة ٠

س : ـ وهل ترون ان الفكر العربى قد لعب دورا ايجابيا بالنسبة للقضايا العربية الراهنة ؟

ج : ـ أنا من المؤمنين بدور المثقفين وخاصة المجتمعات التى تبحث عن مصيرها وعن تكوين لذاتها ٠٠ فالمثقف يمتاز عن غيره من المواطنين بخصلتين :

أولهما إحساسه بأدق سمات التطور ، وثانيهما قدرته على تحليل الظواهر ٠٠٠ واضيف الى ذلك قوته التعبيرية ايضا ٠٠

ففى العالم الحديث نشاهد انفصالا متزايدا ما بين التقدم التكنولوجى والتكوين النفسى الاجتماعى ٠ والمثقف هو الذى يحس اكثر من الآخرين بهذا الانفصال ويعبر عنه ٠٠ فهو الذى يستطيع تحليل الداء ، ومن هذا التحليل لعله يستنتج الدواء ٠

والمثقفون ليسوا بطبقة ، كما نعبر عن طبقة العمال مثلا ٠٠ بل هم وظيفة المجتمع ٠٠ انهم ينتمون الى سائر الطبقات الاخرى ولعل البعض منهم ينتمى الى البورجوازية ، والبعض الآخر الى العمال ٠٠ وما داموا يقومون بوظيفة المثقف ، فلهم دور فعال فى المجتمع ٠

استطيع أن أوافق هؤلاء واستنكر اولائك ٠٠ غير انهم مثقفون ٠٠ كلهم مثلى ٠٠ فلا بد ان اعتبر رأيهم وعباراتهم بما فيها من الدلالة الاجتماعية ٠

س : ـ فى كثير مما كتبت دعوت الى فكر عربى تحليلى ٠٠ فمن أين ترى يجب ان يبدأ المفكرون العرب لتحقيق هذا العنصر فيما يكتبون ؟

ج : ــ وصيتى الى المثقفين العــرب كاصدقــاء ، ان يتعمقــوا فى العلــوم الاجتماعية فهى التى تمكن المثقف ان يحلل ظاهرة ما ٠

ووصيتى الثانية التعمق فى التبادل الفكرى مع الخــارج ، لان الاصــالة لا تحقق بالانزواء ، بل بالتطلع والتفتح ٠٠ وهذا يقتضى التعمــق فى اللغــات الــعالمية ٠

س : ــ قرأنا انك ترجمت بعض الشعر العربى القديم الى الفرنسية ٠ فهل لك ان تحدثنا عن ذلك ؟

ج : ــ من الغريب انى ترجمت معلقة أمرىء القيس بشعر فرنسى حــر ، وقد جاءت هذه الترجمة دقيقة اكثر من اية ترجمة سبقتها ٠ لقد حققت معانى الكلمات مستعينا بلسان العرب ، وبما كتب عن المعلقة من الشروح ٠٠ وبعد ذلك قدمت المتن الى كتاب وشعراء ونقاد فرنسيين ليست لهم علاقة بالشرق ، وليست لهم معرفة بامرىء القيس أو الجاهلية ٠٠٠ وسألتهم سؤالا بسيطا : هل هناك شعرية ؟ فأجابوا بالاجماع : ان هناك شعرا من اقوى الاشعار التى قرأوها فى الاداب العالمية المختلفة ٠٠٠

وسأعيد نفس التجربة مع ذى الرمة ٠

س : ــ ما هو الشىء الذى أثار انتباهك فى الفكر العربى ؟

ج : ــ ان الحضارة العربية جمعت وتجمع حتى الآن ، الى حد كبيــر ، فهم التعالى ، وذوق الطبيعة ٠ وهذا واضح عند الجاهلية ، وواضح ايضا فى سلوك اى عربى ، وهو ما اتحدثت به ، وجعلنى من اصدقائكم » ٠

تنبيه من ادارة « الفكر »

ليكن فى علم قرائنا الكرام أن نــادى الفكــر ــ 13 نهج دار الجلد تونس ــ مفتوح كامل اليوم وأنه يمكن الاتصال :

بــرئيس تحــريــر المجلــة

فى الأوقــات الاداريــة المعلومة وكذلك كل يوم جمعــة من الساعة الرابعة الى السادسة مساء ٠